International Islamic University

Islamabad - Pakistan

Faculty of Arabic

Department of Literature

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد ـ باكستان

كلية اللغة العربية

قسم الأدبيات

رَوائِعُ بَدِيعِيّةٌ في كتاب"الثَّوْرَة الهِندِيّة" للعلّامة فضل الحق الخَيرآبادي

(دراسة بلاغيّة)

البحث التكميلي لنيل درجة ماجستير الفلسفة في الأدب العربي

اسم المشرفة: الدكتورة سلمة فردوس سهول

إعداد الطالبة : حفصة بي بي

رقم التسجيل: ٦٨١FA/MS/ F٢٢

العام الجامعي

٢٠٢٥م / ١٤٤٧هـ

لجنة المناقشة للبحث المقدم لنيل درجة ماجستير الفلسفة في الأدب العربي

أجريت مناقشة البحث الذي قدمته

الطالبة: حفصة بي بي

التاريخ: ٢٧ أغسطس، ٢٠٢٥م

بعنوان: روائع بديعية في كتاب"الثورة الهندية" للعلامة فضل الحق الخيرآبادي

(دراسة بلاغية)

أسماء أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم

الأعضاء	الاسم	التوقيع
المناقش الخارجي	د. محمد بادشاه	
المناقشة الداخلية	د. روبينة ناز	
المشرفة الفاضلة	د. سلمة فردوس سهول	

الإهداء

الى كل من كرس حياته في سبيل الله

و

الى كل من نور قلبي بعلمه وجهده

كلمة الشكر والتقدير

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، أحمدك على كل نعمة أنعمت بها عليَّ، ما علمتني منها وما لم أعلم، وبعد:

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لمشرفتي الفاضلة الدكتورة سلمة فردوس سهول التي تفضلت بإشرافها على هذا البحث، وساعدتني من اختيار الموضوع إلى انجاز هذا العمل. لقد وجدت دعما أكاديميا ومعنويا لا يقدر بثمن، بفضل توجيهاتها القيمة وملاحظاتها السديدة تمكنت من إتمام هذا العمل بأفضل صورة. فجزاها الله خير الجزاء، وبارك في علمها وعملها، وجعل ما تقدمته في ميزان حسناتها.

وأقدم جزيل الشكر إلى جميع الأساتذة والأستاذات الذين لم يبخلوا عليّ بعلمهم، فكانوا لي قدوة ونورا أهتدي به. أقدر كل اللحظة من وقتهم الثمين التي خصّصوها لمساعدتي، وكل نصيحة قدّموها لي، وكل تشجيع منحني القوة للاستمرار والتطور. أسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء، ويبارك في جهودهم وينفع بهم الأجيال القادمة كما نفعتموني.

وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى جامعتي، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، التي وفّرت لي بيئة علمية متميزة.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر لعائلتي، الذين كانوا سندا لي بالدعاء والدعم خلال رحلتي البحثية. اللهم لك الحمد على نعمة الأسرة، فبارك لي فيهم واحفظهم بحفظك، إنك خير الحافظين. أسأل الله رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحثين والمهتمين.

الباحثة: حفصة بي بي

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين، نبيّنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَن تبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أمّا بعد:

التعريف بالموضوع

"الثَّورة الهنديّة" هو كتاب المنطِقيّ، الفَيلَسوف، المتكلّم، الفلكيّ، الشاعر، الأديب، المؤرّخ العلّامة فضل الحق الخيرآباديّ (١٧٩٧م/١٨٦١م). وهو أول كتاب تناول أحداثَ الثورة الهنديّة سنة ١٨٥٧م باللغة العربية[١]. الثورة الهندية هي من أكبر الحوادث في تاريخ الهند، هي حكاية بغي الهنديين خلاف مظالم الإنجليز المتسلّطين على الهند[٢]. جمع الكتاب بين التاريخ والسياسة والأدب، فكان وثيقة نادرة تجمع بين السرد التاريخي والتصوير الأدبي البليغ.

العلامة الخيرآبادي هو بطل الثورة الهندية الذي أفتى بوجوب الجهاد ضد الإنجليز خلال الثورة ١٨٥٧م، وحثّ ملك الهند والأمراء والجنود وعامة الناس على الجهاد، وعقابا له على ذلك نفاه الإنجليز إلى جزيرة أندامان[٣]بعد فشل الثورة، ولكنه رغم مشاكل السجن لم يتوقف من أداء دوره، وسجّل لنا بالعربية حقائق الثورة شعرًا ونثرًا وترك لنا أول وثيقة في تاريخ الثورة

---

[١] كما تناول وصف الثورة في فصائده الثلاث تضم ٥٢١ بيتا.

[٢] أُلِّفت كتب كثيرة عن الثورة الهندية وسمّاها أنصار الإنجليز بـ"غدر"، و"بغاوت"، و"Mutiny"، وسمّاها المسلمون بـ"حرب الاستقلال ١٨٥٧م".

[٣] جزر أندامان ونكوبار توجد في بحر أندامان من المحيط الهندي، تبعد ٢٤٧١ كم من دلهي و١٢٦٢ كم من كولكتا. هي إقليم اتحادي هندي يرسل إليها آلاف من الأسرى خوفا من فسادهم في سجون الهند.

الهندية وأدب الحبسيّات. فرسم صور الحوادث وعزائم الحكومة المتسلّطة في أسلوبه الخاص مع بلاغة اللسان وفصاحته.

يدور هذا البحث حول المحاسِن البَدِيعيّة في كتاب "الثورة الهندية". ما يَهْدف إلى إبراز الأسلوب البلاغيّ الذي اتخذَهُ المؤلف في وصف الثورة الهندية سنةَ ١٨٥٧م، حيث عبّرَ عن الأحداث الجِسام بروح أدبية عالية، مستخدمًا فُنونَ البديع مثل السجع والطباق والجناس وغيرها، بأسلوب فصيح مؤثِّر، جمع فيه بين الصدق التاريخي والجَمال الأدبي، رغم الظّروف القاسية التي كَتب فيها هذا العمل خلال فترة سجنِه في جزيرة أندامان. ويُعَدُّ هذا الكتاب وَثِيقة نادرة في أدب المُقاوَمَة وأدب السُّجون.

أهمية الموضوع

إن الأديب يكون شخصية هامّة في المجتمع؛ لأنه يصور أحوال المجتمع أصدقَ تصوير وأجملَه، ويعبّر عن العواطف والمشاعر التي تختلج داخل الإنسان أدقّ تعبيرٍ وأرقَّه. والأديب الحقيقي يرفع قلمه بكل شجاعة ووعي؛ ليبرز سمات المجتمع وعيوبه وأخطاءه، ويدافع عن حقوق المجتمع والحريات المدنية؛ ليحرّك المجتمع إلى الارتقاء، ويُساهِمَ بكلّ جهد في تطويره، وهدفه يكون جهادا بالقلم.

العلامة الخيرآبادي لم يكن من أبطال الثورة الهندية ١٨٥٧م فقط، بل كان ضد الإنجليز المستعمرين على الهند منذ شبابه فهجاهم بقصيدة طويلة[١] وأزال النقاب عن أهدافهم وكيدهم ومكرهم قبل الثورة بثلاثين سنة على الأقلّ. وظلّ ثابتا على موقفه طوال حياته، وواجه المشاكل حتى نُفِي نفيا مؤبّدا ولكنه استمرّ في جهاده وجاهد في المنفى بدمه وقلمه شعرا

[١] تحوى ٢٣٥ بيتا.

ونثرا، فذكر في هذا الكتاب جميع أحداث الثورة الهندية ما عاشها أو ما رآها بصدق وعدل مع الجرأة والشهامة، وفي أقرب الزمن من بعد وقوعها.

يُظهر هذا البحث أن المؤلف لم يكن مؤرخًا فحسب، بل كان أديبا بارعا يمتلك أدوات البيان وأساليب البديع، فحوّل سرد الثورة إلى نص أدبي بليغ يجمع بين الحقيقة التاريخية وروعة الفن. كما تبرز أهمية البحث في كونه يُعيد الاعتبار إلى إسهام أدباء شبه القارة الهندية في خدمة الأدب العربي، ويكشف عن طاقاتهم الإبداعية في ميدان البلاغة، وبخاصة أن هذا الجانب ما زال بحاجة إلى عناية ودراسة مقارنة بغيره من آداب العالم العربي والإسلامي. ومن ثم فإن هذا البحث يُعَدّ محاولة لإبراز روائع البديع في نصٍّ أدبي مقاوم، كتبه صاحبه تحت وطأة السجن والاضطهاد، ليبقى شاهدًا على التلاحم بين الأدب والحرية والكرامة الإنسانية.

أسباب اختيار الموضوع

وقد دفَعَني إلى اخْتيار هذا الموضوع ما يحمِله هذا الكتاب من ثَرَاء أدبي وبلاغي، وما في أسلوب العلامة فضل الحق الخيرآبادي من روعة في التصوير، وجَمال في التعبير، حيث يُعَدُّ من أبرز أعلام النثر العربي في شبه القارة الهندية خلال مرحلة الاستعمار. والسبب الآخر هو العناية بالأدب العربي الذي أنتجه أبناء شبه القارة الهندية، لأن أدب شبه القارة الهندية بالعربية لم يحظ بالعناية الكافية مقارنة بغيره من آداب العالم الإسلامي، مما يجعل من الضروري إعادة إبرازه ودراسته بوصفه جزءًا حيًّا من التراث العربي.

الدراسات السابقة

اهتم الباحثون والمحققون بالأعمال الأدبية للعلامة فضل الحق الخيرآبادي، وكثرت الدراسات العلمية حول أعماله العلمية والأدبية، مثل: ترجمة "الثورة الهندية" إلى ثلاث لغات منها الأردية، والهندية، والإنجليزية. ومن الدراسات السابقة التي تتعلق بموضوعي هي:

- "العلامة فضل حق الخيرآبادى مع تحقيق كتابه الثورة الهندية": الدكتورة قمر النساء، رسالة الدكتوراه تحت إشراف الدكتور عبد الستار خان، من الجامعة العثمانية، حيدرآباد، الهند، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. طبعت هذه الرسالة من المطبع كنج شكر برنتر، لاهور، ١٩٨٦م. قامت الدكتورة قمر النساء فيها بتحقيق كتاب "الثورة الهندية"، وبذلت جهدًا علميًا دقيقًا في مراجعة المخطوطات، وضبط النصوص، وتوثيق المصادر، مما أخرج هذا العمل في صورة علمية رصينة تليق بمكانة المؤلف وبأهمية الموضوع التاريخي الذي يتناوله. وفي دراستي اخترت المحسنات البديعية في هذا الكتاب.
- "العلامة فضل الحق الخيرآبادي في ضوء كتابه "الثورة الهندية": محمد أسلم، مجلة ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، دلهي، الهند، م: ٦٥، ع:١، ٢٠١٣م. ص: ١-٢٥. في هذه المقالة سلّط محمد أسلم الضوء على جهود العلامة فضل الحق الخيرآبادي ودوره البارز في ثورة ١٨٥٧م، من خلال دراسته وتحليله لكتابه الثورة الهندية. أما في دراستي فألقيت الضوء على أسلوبه البديعي في هذا كتاب.
- "العلامة فضل الحق الخيرآبادي" للدكتورة سلمة فردوس سهول، تُعَدُّ هذه الدراسةُ سيرةً علميةً شاملةً ومفصَّلةً للعلامة الخيرآبادي باللغة الأردية، تضم ٤٥٥صفحة، تتناول جوانب حياته الشخصية والعلمية والفكرية والأدبية والاجتماعية والسياسية بأسلوب موضوعي تحليلي. الباب الرابع من هذه الدراسة يستغرق نحو ٢٠٠ صفحة، وهو وصف

تحليلي مفصل لأحداث الثورة الهندية ١٨٥٧م ودور العلامة الخيرآبادي وغيره ممن لعب دورا ما فيها، في ضوء هذا الكتاب وغيره من المصادر المعاصرة.

غير أنّ موضوعي يختلف عن هذه الدراسة أيضا؛ لأنه يتعلّق بالجانب البلاغي البديعي في كتاب الثورة الهندية، محاولًا الكشف عن جماليات الأسلوب وروائع البديع التي وظّفها المؤلف في تصوير أحداث الثورة.

إشكالية البحث

١. من هو العلامة فضل الحق الخيرآبادي؟ وما مكانتُه في علم البديع؟
٢. كيف ساهم أُدباءُ شبه القارةِ في مجال البلاغة؟
٣. لماذا كثر استخدام المحاسن البديعية في كتاب "الثورة الهندية" يحفظ تاريخ حادث كبير لعصره؟ هل هو اتباع للاتجاه البديعي السائد قبيل عصره (أي عصر الضعف) وإظهار مقدرته عليه فقط؟ أو اختاره واستفاد منه للحفاظ على حقائق الثورة الهندية في كسوة روائع بديعية خلال أسره بأيدي الإنجليز الغاشم في جزيرة أندامان؟
٤. هذا الاستكثار من استخدام المحسنات البديعية يوافق مع الذوق العربي أم لا ؟ وهل يتمكن منه الأديب المتصنع أو الموهوب؟
٥. هل سبق العلامة الخيرآبادي أحد من أتباع المذهب البديعي في الإكثار من المحسنات البديعية وفي تنويعها؟

منهج البحث وحدوده

استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي البلاغي، والكتاب الذي حدّدت لهذه الدراسة هو "الثورة الهندية" للعلامة فضل الحق الخيرآبادي من أدباء شبه القارة.

ضوابط البحث

وقد التزمت في هذا البحث بالآتي:

١. تناولت الشواهد البلاغية البديعية المتناولة فيه، وقسمتها حسب موضوعات البحث.
٢. استفدت لشرح المعاني من المعجمين: "لسان العرب" لابن منظور، و"مقاييس اللغة" لابن فارس.
٣. نسبة الأقوال إلى مصادرها الأصلية قدر المستطاع، وما نقلت بنصه وضعته بين قوسين (" ")، وإذا نقلت معنى من الكتاب أو تصرفت فيه أشرت إليه في الهامش بكلمة (ينظر)، ثم ذكرت المرجع الذي استفدت منه.
٤. تقديم تعريف بالأعلام المهمة جاء ذكرهم لأول مرة في البحث.
٥. تخريج الآيات القرآنية الواردة قدر الاستطاعة.
٦. ذكر تفاصيل المصادر والمراجع عند ورودها أول مرة في الهامش والاكتفاء بذكر عنوان الكتاب، بيان الجزء والصفحة عند التكرار.
٧. اختيار منهج معين في الهوامش وهو تقديم اسم المؤلِّف وبعده اسم الكتاب، ثم المحقق أو المترجم، ثم الجزء، ثم الطبعة، ثم دار النشر والبلد وتاريخه، وفي الأخير رقم الصفحة. أما في قائمة المصادر والمراجع ذكرت تاريخ النشر في الأخير.
٨. القيام بإعداد فهارس كل من الآيات القرآنية، والأعلام، والأماكن، والمصادر والمراجع، والمحتويات.
٩. استخدام الرموز في بعض الكلمات التي ذكرتُ مرارا وتكرارًا في البحث تجنبا للإطالة المملة، وهذه الرموز كالآتي: ط: للطبعة، ج: للجزء، ص: للصفحة، هـ: للهجري، م: للميلادي، ت: للمتوفي، وغيرها.

هيكل البحث

المقدمة: تحتوي على النقاط التالية:

التعريف بالموضوع وأهميته، أسباب اختيار الموضوع، الدراسات السابقة، إشكالية البحث، حدود البحث ومنهجه، هيكل البحث.

التمهيد

- علم البديع نشأة وتاريخ
- نبذة عن اهتمام علماء شبه القارة بعلم البديع
- نبذة عن حياة الأديب وآثاره
- نبذة عن الكتاب "الثورة الهندية"

الفصل الأول: المحسنات المعنوية في كتاب "الثورة الهندية"

المبحث الأول: الطباق

المبحث الثاني: المقابلة

المبحث الثالث: مراعاة النظير

المبحث الرابع: التدبيج

المبحث الخامس: الإبداع

الفصل الثاني: المحسنات اللفظية في كتاب "الثورة الهندية"

المبحث الأول: السجع

المبحث الثاني: الجناس

المبحث الثالث: رد العجز على الصدر

المبحث الرابع: الاقتباس

المبحث الخامس: التلميح

الخاتمة

تشتمل على ثلاث نقاط:

- ملخص البحث
- نتائج البحث
- التوصيات

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات

التمهيد

علم البديع نشأة وتاريخ

البديع: لغة من فعل بَدَعَ، يَبْدَعُ بمعنى أنشأ، واخترع، وبدع الشيء يبدَعَه بَدْعا إذا أنشأه على غير مثال سَبَقَ. والبَدِيْع: الشيء الذي يكون أولا، والبديع: من أسماء الله تعالى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياه.[1]

أما في الاصطلاح فوردت تعريفات عدة للبديع، وتعريف القزويني[2] يعتبر من أوجز التعريفات وأوضحها، أي هو"علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة." وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ.[3]

وعلم البديع فرع لعلم البلاغة التي تشمل أيضا علم المعاني والبيان. وهو يختص بدراسة الأساليب البلاغية اللفظية والمعنوية تهدف إلى تحسين الكلام وتزيينه. أوّل من دَوَّن في هذا الفن ووضع أسس هذا العلم ومصطلحاته هو عبد الله بن المعتز العباسي[4]. وكان كتابه "البديع" أوّل كتاب في علم البديع جمع فيه ما اكتشف من المحسنات البديعية سنة ٢٧٤هـ، وذكر فيه سبعة عشر نوعا. وأضاف إليها البلاغيون ما استكملوا به من مباحث هذا العلم وقضاياه. ومن معاصريه

---

[1] مادة (ب د ع)، ابن منظور، لسان العرب، ط: ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، د.ت، ج: ١، ص: ٣٤١

[2] محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني (٦٦٦-٧٣٩هـ / ١٢٦٨-١٣٣٨م) ولد بالموصل، أصله من القزوين. اشتهر بخطيب دمشق. ولي منصب القضاء. من كتبه "تلخيص المفتاح"، و"الإيضاح" في شرح التلخيص. (خير الدين الزركلي، الأعلام، ط: ١٥، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م، ج: ٦، ص: ١٩٢)

[3] جلال الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع، ط: ١، دار الفكر العربي، ١٩٠٤م، ص: ٢٥٥

[4] عبد الله بن المعتز بالله (٢٤٧-٢٩٦هـ / ٨٦١-٩٠٩م) ولد في بغداد. كان شاعرا مبدعا، وخليفة يوم وليلة. أولع بالأدب وصنف كتبا، منها: "الزهر والرياض"، و"البديع"، و"الآداب"، و"أشعار الملوك"، و"طبقات الشعراء"، وله "ديوان شعر"، (الزركلي، الأعلام، ١١٨/٤، وينظر "ابن المعتز وتراثه في الأدب"، و"عبد الله ابن المعتز وأدبه وعلمه".)

من التقف هذا العلم وأضاف فيه هو قدامة بن جعفر[١] ألّف كتابا سمّاه "نقد قُدامة" ذكر فيه ثلاثة عشر نوعا من أنواع البديع، إضافةً إلى ما اكتشفه من قبل عبد الله بن المعتز. ثم ظهر في القرن الرابع عالم آخر وهو أبو هلال العسكري[٢] عاش بعد قدامة أكثر من نصف قرن، وجمع في الكتاب "كتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر" سبعة وثلاثين نوعا من أنواع البديع.

وفي القرن الخامس الهجري برز الأديب المغربي ابن رشيق القيرواني[٣]، هو الذي ألف كتابًا سماه " العمدة"، وأنواع البديع التي أوردها ابن رشيق في كتابه يبلغ عددها تسعة وعشرين. وقد تميزت دراسة ابن رشيق لما ذكره من فنون البديع بأنها أكثر تفصيلا.

واشتهر كتاب السكاكي[٤] "مفتاح العلوم" في علم البلاغة، خص فيه القسم الثالث بعلم المعاني وعلم البيان وملحقاتهما من البلاغة والفصاحة، والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية. هو لم يأت في كتابه بنوع جديد من المحسنات البديعية، ولكنه أول من نظر في المحسنات البديعية وقسَّمها إلى المحسنات المعنوية واللفظية.

---

[١] قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي (ت: ٣٣٧هـ / ٩٤٨م). كاتب من البلغاء في علم المنطق والفلسفة في العصر العباسي. كان نصرانيا أسلم على يد المكتفي بالله. من كتبه: "الخراج"، و"نقد الشعر"، و"زهر الربيع" في الأخبار والتاريخ، و"الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام". (الزركلي، الأعلام، ١٩١/٥)

[٢] الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، أبو هلال (ت: ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م) ولد في مدينة عسكر مكرم، ثم انتقل إلى البغداد والبصرة، هو عالم بالأدب، وله شعر. من كتبه: "التلخيص"، و"جمهرة الأمثال"، و"كتاب الصناعتين"، وغيره من الكتب كثيرة. (الزركلي، الأعلام، ١٩٦/٢)

[٣] الحسن بن رشيق القيرواني (٣٩٠-٤٦٣هـ / ١٠٠٠-١٠٧١م) ولد في المسيلة بالمغرب. كان أديبا وناقدا وباحثا. تعلم الصياغة وقال الشعر. من كتبه "العمدة في صناعة الشعر ونقده"، و"الشذوذ في اللغة"، و"المساوي" في السرقات الشعرية، وله ديوان شعري. (الزركلي، الأعلام، ١٩١/٢)

[٤] هو يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي (٥٥٥ – ٦٢٦هـ / ١١٦٠-١٢٢٩م) كان عالما في النحو والتصريف والمعاني والبيان والعروض والشعر. ومن آثاره "مفتاح العلوم" و "مصحف الزهرة". (عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج: ٤، ط: ١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، ص: ١٤٨،١٤٩)

ثم في القرن السابع كتب ابن أبي الإصبع[1] "تحرير التحبير" و"بديع القرآن" نالا مكانة عظيمة في هذا الفن. جمع في كتابه "تحرير التحبير" مائة وعشرين محسنا بديعيا، أما في "بديع القرآن" فعرض لما في القرآن من محسنات بديعية، بلغ عددها مئة وثماني محسنات.

وبعد ابن أبي الإصبع اشتهر صفي الدين الحلي[2] بقصيدة تُعرَف ببديعية صفي الدين، تشتمل على مئة وخمسة وأربعين محسنا. ثم اشتهر عز الدين الموصلي[3] ببديعيته، وذكر فيها ما ذكره صفي الدين الحلي وزاد زيادة يسيرة من ابتكاره.[4]

---

[1] عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني (٥٩٥-٦٥٤هـ / ١١٩٨-١٢٥٦م) البغداي ثم المصري، ولد بمصر. هو شاعر وأديب. له تصانيف حسنة، منها: "بديع القرآن"، و"تحرير التحبير"، و"البرهان في إعجاز القرآن"، و"المختارات" في الأدب. (الزركلي، الأعلام، ٣٠/٤)

[2] عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم (٦٧٧-٧٥٠هـ / ١٢٧٨-١٣٤٩م) ولد ونشأ في الحلة بين الكوفة والبغداد، واشتغل بالتجارة. له "ديوان الشعر"، و"العاطل الحالي" رسالة في الزجل والموالي، وكتاب "صفي الدين الحلي ونوادر أشعاره". (الزركلي، الأعلام، ١٨/٤)

[3] علي بن الحسين بن علي، عز الدين الموصلي (ت: ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م) من أهل الموصل، أقام مدة في الحلب، وسكن دمشق، وتوفي بها. هو شاعر وأديب. له "ديوان شعر" جمعه في مجلد، و"بديعية" شرحها في كتاب سماها "التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع". (الزركلي، الأعلام، ٢٨٠/٤)

[4] ينظر: د.عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية؛ علم المعاني ـ البيان ـ البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص: ٤٢٥ _ ٤٩١

نبذة عن اهتمام علماء شبه القارة بعلم البديع

من المعروف أن بداية العلوم العربية في شبه القارة الهندية ترتبط ارتباطا وثيقا بدخول الإسلام إلى هذه المنطقة. وقد بدأ انتشار الإسلام في هذه المنطقة في القرن السابع الميلادي بعد فتح السند[1] عام ٧١١م الموافق ٩٢هـ على يد محمد بن قاسم الثقفي[2]. وأصبحت اللغة العربية وآدابها منتشرة في أنحاء الهند، وكان رجال العرب المتشبعون بدعوة الإسلام، وكذلك الهنود الذين اعتنقوا الدين الإسلامي، بذلوا أقصى جهودهم في سبيل نشر اللغة العربية وآدابها في أنحاء البلاد باعتبار كونها لغة القرآن الكريم والدين الجديد.

بدأت اللغة العربية تثبّت أقدامها في الهند، وتطورت تطورا واسعا عبر العصور. وخلال العهد الإسلامي احتلت مكانة عالية في الأوساط العلمية والثقافية. وكان لها دور محوري في الترجمة والتأليف، مما جعلها جسرًا للتواصل الفكري بين الثقافات المختلفة.

كان العلماء كما يهتمّون بالفقه والتفسير والحديث والمنطق والحكمة والعلوم الدينية الأخرى، كانوا يولون اهتمامهم بالشعر والنثر العربي أيضًا. وهكذا، بقيت العربية حاضرة وفاعلة في المشهد الثقافي الهندي، وأسهمت بشكل كبير في تطور التراث العلمي والأدبي للبلاد.

---

[1] السند إقليم شرقي من الدولة الأموية والعباسية قَدِيمًا، يرجع تاريخه ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. والآن هي إحدى أقاليم باكستان، وعاصمتها كراتشي.

[2] محمد بن قاسم بن محمد الثقفي (٦٢ – ٩٨هـ / ٦٨١ – ٧١٧م) فاتح السند، ووالیها. ولد في الطائف. كان أبوه والي البصرة للحجاج. وولى الحجاج محمدًا ثغر السند في أيام الوليد بن عبد الملك. فزحف مع جنوده إلى مكران وفتح قنزبور وأرمائيل والديبل وقتل الداهر ملك السند. وهكذا جاء المسلمون والإسلام على بلاد السند. (الزركلي، الأعلام، ٣٣٣/٦)

وقد أنجبت هذه المنطقة –من القرن الثاني إلى القرن الرابع عشر الهجري– عددًا كبيرًا من العلماء، والأدباء، والشعراء، والفقهاء، والمحدثين، والمفسرين لا يمكن إحصاؤهم، ولكن للأسف الشديد لم تنل كتبهم ومؤلفاتهم الاهتمام والمكانة التي تليق بها.

قد ألف أهل شبه القارة كتبا كثيرة في المجال اللغوي والأدبي كالنحو، والشعر، والبلاغة، وعلوم اللغة، والمقامات، والطرائف، والرسائل، والإنشاء، والمعاجم... هذا البحث يتناول إنتاجهم في علم البلاغة عامة وفي البديع خاصة. علماء الهند قدموا العديد من المصنفات القيمة في مجالات المعاني والبيان والبديع. نجد اهتمامهم في جانبين: فالجانب الأوّل هو كتابة الحواشي والشروح على كتب البلاغة، أما الثاني فهو مؤلفاتهم التي ألفوها بأنفسهم في علم البلاغة.

حواشي وشروح لكتب البلاغة:

من أبرز أعمالهم في الشرح والتحشية: حاشية على "مفتاح العلوم" للشيخ معين الدين العمراني[١]. وشرح بسيط على القسم الثالث من "مفتاح العلوم" للسَّكاكي للشيخ حسين بن خالد الناكوري[٢]، وحاشية للشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي[٣] على "المُطَوَّل" للتفتازاني[٤]، و"الفرائد

[١] كان الشيخ معين الدين العمراني أكمل دراسته في مدينة دلهي. وله مصنفات جليلة، منها:شروح وتعليقات على"كنز الدقائق"، و"الحسامي"، و"مفتاح العلوم". (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٢١٢/٢)

[٢] الشيخ حسين بن خالد بن نظام الدين الناكوري (ت: ٩٠١هـ / ١٤٩٥م) وله مصنفات منها: تفسير القرآن المسمى بـ "نور النبي"، وله شرح بسيط لـ "مفتاح العلوم"، وله "أصول الأنوار في ذكر الأبرار".(عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٣٣١/٤)

[٣] وجيه الدين بن نصر الله بن عماد الدين الكجراتي (٩١١– ٩٩٨هـ / ١٥٠٥–١٥٩٠م) ولد وعاش في ولاية كجرات بالهند. وله التصنيفات بالوجودة العالية منها:حاشية على التفسير البيضاوي، وعلى المطول، وعلى المختصر.(عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٤٤٢/٤)

[٤] مسعود بن عمر المعروف بسعد الدين التفتازاني (٧١٢–٧٩١هـ / ١٣١٢ – ١٣٨٩م) ولد بتفتازان قرية الخرسان، ألف كتبا كثيرة، منها:"الشرح المطول على تلخيص المفتاح" المعروف بـ "المطَوَّل"، هو شرح "تلخيص المفتاح" لجلال الدين القزويني. (عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ٨٤٩/٣)

المحمودية" شرح الفوائد الغياثية لمحمود بن محمد الجونبوري[1]، وهو كتاب نفيس في هذا الفن. وحاشية على "المطوّل" لعبد الحكيم السيالكوتي[2]، وحاشية لنور الدين بن محمد صالح الكجراتي[3] وهي المسماة بالمعوَّل شرح المطوَّل.

نجد أن كثيرًا من علماء الهند كتبوا حاشية "المطَوَّل"، كما نجد حاشية على "المختصر" للشيخ وجيه الدين المذكور وغيره من الشروح والحواشي والتلخيصات التي لا عد لها ولا حصر. وأشهر حاشية عند العرب من حواشي أهل شبه القارة حاشية السيالكوتي على المطوّل التي طبعت في الدول العربية وأصبحت من المراجع الأساسية لهذا الفن عند العرب.[4]

المؤلفات البلاغية: ومن الكتب التي قاموا بتأليفها في البلاغة وعلومها: "حدائق البيان" لمنور بن عبد المجيد اللاهوري[5]، و"ملخص البلاغة" للسيد محمد حكم البريلوي[6]، و"حدائق البلاغة"

---

[1] المعروف بالملا محمود (ت:١٠٦٢هـ / ١٦٥٢م) باحث من أهل جونفور، بالهند، شرقي الدهلي. له كتب، منها: "الشمس البازغة"، و"الفرائد" شرح به الفوائد الغياثية للعضد الإيجي. (الزِركلي، الأعلام، ١٨٤/٧)

[2] عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي (٩٦٩-١٠٦٧هـ / ١٥٦١ -١٦٥٧م) ولد ونشأ بسيالكوت من بلاد بنجاب له التصانيف الفائقة ومقبولة عند العلماء، منها: حواشي: على "تفسير البيضاوي"، و"المطول" في البلاغة. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٥٥٨/٥)

[3] نور الدين بن محمد الكجراتي (١٠٦٣-١١٥٥هـ / ١٦٥٣-١٧٤٢م) عاش في كجرات، وأحمد آباد والمدينة، والمكة. له مصنفات جليلة، منها:"التفسير النوراني للسبع المثاني"، و"التفسير الرباني"، وحواشي: على "التلويح"، و"المعول"، و"المطول". (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٨٥٤/٦)

[4] عبد الحي الحُسني، الثقافة الإسلامية في الهند، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعلم والثقافة، ٢٠١٢م، ص: ٤١، ينظر أيضا: أحمد إدريس، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، ط: ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨م، ص: ١٢٨،١٢

[5] منور بن عبد المجيد اللاهوري (ت: ١٠١١هـ / ١٦٠٢م) كان عالما بارزًا، يقرأ القرآن على سبع قراءات. من كتبه: "الدار النظيم في ترتيب الآي وسور القرآن الكريم"، و"حدائق البيان" في البلاغة. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٦٥٢/٥)

[6] محمد حكم بن محمد البريلوي (١١٠٨-١١٥٠هـ / ١٦٩٦-١٧٣٧م) ولد وعاش في بريلي بالهند. له مصنفات جليلة منها: "تلخيص الصراح"، و"ملخص البلاغة" في المعاني. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٨١٤/٦)

لشمس الدين الدهلوي[1]. و"سبحة المرجان" لغلام علي آزاد البلكرامي[2]، و"نقد البلاغة" لخير الدين محمد الإله آبادي[3]، و"ميزان البلاغة" لعبد العزيز الدهلوي[4]، وشرحه القاضي عبد القادر بن محمد أكرم الرامبوري[5]، و"رسالة في البلاغة" لشمس الدين الحيدرآبادي[6]، ورسالة في التشبيه والاستعارة لسعد الله المرادآبادي[7]، ومنها "غُصْنُ البان المورقُ بمحسنات البيان" لصديق

---

[1] شمس الدين العباسي الدهلوي (١١١٥-١١٧٠هـ / ١٧٠٤-١٧٥٧م) عاش في الدلهي والدكن. له كتب رسالتان بعنوان "الوافية في فن العروض والقافية" و"خلاصة البديع"، وله كتاب مبسوط في علم البلاغة يسمى "حدائق البلاغة" وكلها بالفارسية. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٧٣١/٥)

[2] غلام علي بن نوح الحسيني الواسطي البلكرامي (١١١٠-١٢٠٠هـ / ١٦٩٨-١٧٨٦م) عاش في بلكرام وأورنك آباد. من أشهر تصنيفاته: "سبحة المرجان في آثار الهندوستان"، و"تسلية الفؤاد في قصائد آزاد"، و"شفاء العليل"، و"يد البيضاء". (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٧٧٣/٦)

[3] خير الدين الإله آبادي عالم بارز في الفنون الأدبية، له متن متين في البلاغة ملخص من "تلخيص المفتاح"، وله شرح بسيط عن مستخرجات البلكرامي في "سبحة المرجان" سماه "نقد البلاغة". (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٩٦٥/٧)

[4] الشيخ عبد العزيز الدهلوي سراج الهند وحجة الله (١١٥٩-١٢٣٩هـ / ١٧٤٦-١٨٢٣م) له تصنيفات فائقة، ومن أشهرها: "بستان المحدثين"، و"ميزان البلاغة"، و"ميزان الكلام"...(عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٠١٤/٧)

[5] الشيخ عبد القادر الرامبوري (١١٩٧-١٢٦٥هـ / ١٧٨٣-١٨٤٨م) وعاش فيه وفي دلهي وسهارنبور. كتب تعليقات على "جامع البركات"، و"شمائل الترمذي"، وكتب شرح "ميزان البلاغة"، وكتب رسائل كثيرة في موضوعات متعدد. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٠٢٦/٧)

[6] شمس الدين بن أمير الدين الحيدرآبادي (١٢١٤-١٢٨٣هـ / ١٧٩٩-١٨٦٦م) ولد في حيدرآباد. صنف كتب كثيرة، منها: "شمس النحو"، و"شمس التصريف"، و"خزانة الأمثال"، ورسالة في البلاغة. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٩٨٨/٧)

[7] سعد الله بن نظام الدين الحنفي المرادآبادي (١٢١٩-١٢٩٤هـ / ١٨٠٤-١٨٧٧م) عاش في إيران والهند والحجاز. كان عالم في النحو واللغة. نجد في مصنفاته: "نور الإيضاح في أغلاط الصراح"، و"غاية البيان في تحقيق السبحان"، وغيرها من الكتب والرسائل. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٩٨٢/٧)

حسن القنوجي[1]. و"معيار البلاغة" لسكندر علي الخالصبوري[2]، و"المقال الطريف" لعبد الغني الفرخ آبادي[3]".[4]

من اهتمامهم بعلم البديع أنهم دونوا علوم البلاغة والبديع في لغاتهم المحلية أيضا واستخرجوا العديد من أنواع المحسنات البديعية من آدابها. وقد كانت بعض هذه الأنواع مشتركة بين الهنود والعرب كما ذكر في "سبحة المرجان"، مثل: التورية، حسن التعليل، تجاهل العارف، المراجعة، الاستعارة، التشبيه، الجناس، السجع، وغيرها، وبعضها مختصة بالعرب، نحو: استخدام المضمر، حسن التخلص، التاريخ على قاعدة الجُمَّل. وأخرى مختصة بأهل الهند.[5]

أما الأنواع التي كانت خاصة بأهل الهند، فقد أبدعوا فيها بشكل فريد. ومن أبرز الإسهامات في هذا المجال ما قام به السيد غلام علي البلكرامي، حيث استفاد من أدبين الفارسي والهندي

---

[1] نواب صديق حسن خان القنوجي (١٢٤٨-١٣٠٧هـ / ١٨٣٢-١٨٩٠م) كان عالم التفسير والحديث، ومحي العلوم العربية في الهند. قد بلغ عدد مؤلفاته إلى اثنين وعشرين ومئتين، فإذا ضمت إليها الرسائل الصغيرة بلغت إلى ثلاثمئة. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٢٤٦/٨)

[2] سكندر على بن عبد الرحيم الخالصبوري اللكهنوي (١٢٧٣-١٣١٤هـ / ١٨٥٦-١٨٩٦م) عاش في الهند والحجاز وأفغانستان. كان عالما لغويا. له بعض الرسائل بالعربية والفارسية، منها: "معيار البلاغة"، و"صحيفة العشق"، وديوان الشعر. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٢٣٤/٨)

[3] عبد الغني بن محمد مير الأفغاني الفرخ آبادي (ت: ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م) ولد ونشأ بفرخ آباد. وفي أعماله الأدبية نجد "المقال الطريف"، و"موارد المصادر والأفعال"، و"حوار العرب" في اللغة العربية.(عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٢٨٦/٨)

[4] ينظر: عبد الحي الحُسني، الثقافة الإسلامية في الهند، ص: ٤٢،٤١

[5] غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي، سبحة المرجان في آثار هندوستان، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، ط:١، مكتبة مؤمن قريش، ٢٠١٥م، ص: ٢٢٨

لإثراء البلاغة العربية، وقام بنقل ثلاثة وعشرين نوعًا من المحسنات البديعية من الهندية إلى العربية. وقد أطلق عليها أسماء عربية مناسبة، وذكرها في كتابه سبحة المرجان.

ولما نقل غلام علي تلك الأنواع من الهندية إلى العربية، قام بعمل استقصاء واسع في التراث العربي وبحث في المجموعات والدواوين الشعرية والأدبية، بهدف استخراج أمثلة على هذه الأنواع من النصوص العربية. وأثناء ذلك، اكتشف عددًا جديدًا من الأنواع البديعية التي كانت موجودة في النصوص العربية لكنها لم تكن مُصنفة سابقًا. قام باختيار سبعة وثلاثين نوعًا وأدرجها ضمن علم البديع.

وأضاف الأمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي[١] إلى علم البديع نوعا جديدا باستخدام أسلوب مبتكر في التورية والتشبيه وسماه "أبُو قَلَمُون"[٢] / ترجمة اللفظ.[٣]

وهناك من أدباء العربية في شبه القارة، من اقتصر في استخراج علوم البلاغة من القرآن الكريم، منهم الشيخ عبد العزيز أحمد البرهاروي[٤] في كتابه "نعم الوجيز في إعجاز القرآن العزيز"، وقام بتحقيقه الدكتور ظهور أحمد أظهر[٥] رئيس قسم اللغة العربية وعميد كلية الدراسات العربية

---

[١] خسرو بن سيف الدين الدهلوي (٦٥١-٧٢٥هـ / ١٢٥٣-١٣٢٥م) عاش في دلهي.هو من أشهر شعراء الهند، وله شعر عربي. من مصنفاته: "إعجاز خسروي" في البدائع ومحسنات الكلام. ويحتوي على خمس الرسائل، ذكر في الرسالة الثانية التي بالعربية بعض المحسنات اللفظية والمعنوية. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٥٦/٢)

[٢] ذو ألوان متعددة.

[٣] أحمد إدريس، الأدب العربي في شبه القارة الهندية، ص: ١٣٢

[٤] عبد العزيز أحمد البرهاروي (١٢٠٩-١٢٣٩هـ / ١٧٩٤-١٨٢٣م) ولد في برهار قرية في مظفر كره. كتب في البلاغة والتفسير والحديث والنجوم والطب. ومن مؤلفاته: "مرام الكلام"، و"اللوح المحفوظ"، و"كوثر النبي". (أحمد إدريس، الأدب العربي في شبه القارة الهندية، ص: ٤٠٥)

[٥] الدكتور ظهور أحمد أظهر (١٣٥٦ – ١٤٤٥هـ / ١٩٣٧- ٢٠٢٣م) ولد في قرية من إقليم بنجاب، باكستان. هو أستاذ عربي، ومحقق، وأديب شهير. ألف في اللغة العربية والأردية. معظم أعماله العربية حول التحقيق، كـ: "ديوان الفيض"، و"نعم الوجيز في إعجاز القرآن"...(باحث: عبد العلى، "ظهور أحمد أظهر وآثاره الشعرية في الأدب العربي"، مجلة البحث العربي، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد ـ باكستان، ع: ٣، دسمبر ٢٠٢٠م، ص: ١٧٨)

والإسلامية السابق بجامعة بنجاب، لاهور. ونشره في مجلة المجمع العربي الباكستاني، والكتاب خفيف يحتوي على ثلاثة أبواب رئيسية: المعاني، والبيان، والبديع.[1]

وكتاب "جمهرة البلاغة" لعبد الحميد الفراهي[2]. حاول فيه التجديد في كل فن ودوّنه من جديد في ضوء القرآن الكريم. ينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام؛ القسم العمومي، والقسم الخصوصي، ومباحث متفرقة. فالقسم الأول يتناول معنى البلاغة والنقد على النظريات المختلفة عنها بجانب الإشارة إلى أصول البلاغة العامة، بينما القسم الخصوصي يتحدث عن مختلف الأساليب البلاغية بما فيها دلالة الوصل والفصل والحذف والمقابلة والاستثناء، ومن هنا تخلص إلى بلاغة القرآن التي هي غايته وهدفه الرئيسي. والقسم الثالث ينطق عن الجملة المعترضة وروح البلاغة وسرها وكمالها ومحاسن كلام العرب ومذهب العرب في نقد الكلام وغيرها من المباحث المهمة. حاول الفراهي في هذا الكتاب أن يكشف القناع عن بلاغة القرآن في ضوء كلام العرب القُحّ وكلام الله تعالى ذاته، فلم يحولها إلى بلاغة العجم التي لا صلة لها ببلاغة العرب ولاسيما ببلاغة القرآن الكريم، فهو قام بمحاولة بديعة وناجحة.[3]

أما الحديث عن أساليب أدباء شبه القارة فنلاحظ أنهم قلدوا العرب في معظم كتاباتهم الأدبية -شعرية كانت أو نثرية- ولكنهم يبتدعوا كثيرًا. ولعل سبب في ذلك أنهم قلدوهم في زمن انحطاط الأدب العربي وضعفه في بلاد العرب، قد مال الأدباء إلى زخرف القول وتدبيج اللفظ بدون المعنى، وبالغوا في استخدام المحسنات البديعية حتى تحولت الكتابة العربية إلى الصنعة

---

[1] أحمد إدريس، الأدب العربي في شبه القارة الهندية، ص: ١٤٣

[2] المعروف بحميد الدين الفراهي (١٢٨٠-١٣٤٩هـ / ١٨٦٣-١٩٣٠م) ولد في أعظم كره وعاش في لكناو وحيدرآباد ولاهور. هو من كبار العلماء، كتب في العربية والأردية والفارسية. في العربية له ديوان شعر، ورسالتان في النحو والصرف، ورسائل بالعربية في تفسير القرآن، و"جمهرة البلاغة". (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٢٦٧/٨)

[3] أورنك زيب أعظمي، "الإمام عبد الحميد الفراهي وكتابه جمهرة البلاغة"، مجلة الديبل، مؤسسة بوابة البحث والتحقيق، ع: ٢، ج: ١، ديسمبر٢٠١٦م، ص: ٣،٢

المتكلفة. في هذا العصر قلدهم أدباء شبه القارة فمالوا إلى الأسلوب البديعي واستكثروا منه، مثل السجع والجناس، وأفسدوا المعنى في تزويق العبارات.

وقد تميزت أعمال بعض الأدباء الذين تأثروا بهذا التيار البديعي وكثَروا في استخدام المحسنات البديعية، كأبي الفيض بن المبارك[1]، وعباس التُستري[2]، وفضل الحق الخيرآبادي. إن يوجد عند بعضهم التركيز على اللفظ دون المعنى، ولكن رغم ذلك نجد في كلامهم الاختراع والإبداع يستحق التقدير والاهتمام.

[1] أبو الفيض بن المبارك الناكوري (٩٥٨ – ١٠٠٤هـ / ١٥٤٧ – ١٥٩٥م) ولد بمدينة آكره. كان ممتازا في عصره في البلاغة والفصاحة، ولكنه وقع في الكفر والضلالة، ومات على ذلك الكفر والإنكار. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ٤٧٢/٥)

[2] عباس بن علي اللكنوي (١٢٢٤ – ١٣٠٦هـ / ١٨٠٩ – ١٨٨٨م) ولد وعاش في لكناو. قرأ الفنون المتعارفة وولى التدريس في المدرسة السلطاينة. له مؤلفات كثيرة يبلغ عددها مئة وخمسين. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٢٥٦/٨)

العلامة فضل الحق الخيرآبادي

اسمه ونسبه:

كان العلامة محمد فضل الحق الخيرآبادي بن مولانا فضل إمام الخيرآبادي[١] من أحد العلماء المشاهير في القرن الثالث عشر الهجري الذي ولد سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م في مدينة "خير آباد"[٢]. وهو عرف بالخيرآبادي نظرا لميلاده في قرية خير آباد. وقد يصل نسبه الشريف إلى الخليفة الراشد الثاني أمير المؤمنين سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه بثلاث وثلاثين واسطة.

دراسته وأساتذته:

فتح العلامة فضل الحق الخيرآبادي عينه في الأسرة العلمية. وتلقى العلوم الأولى على يد والده فضل إمام الخيرآبادي، الذي فاق معاصريه في العلوم العقلية والعربية، كان يزوره الطلاب من أقصى البلاد ليستفيدوا من معقولاته النادرة. فالمهد الأوّل للتعليم والتربية كان بيته. حتى إنه لم يضطر أثناء تدريسه إلى حضور مكتب آخر غير مكتب أسرته. كان والده صدر الصدور في عاصمة الهند "دلهي"[٣] أيضا، فنشأ في ترف ونعمة. وأخذ درس الحديث عن شيخ المحدثين

---

[١] فضل إمام الخيرآبادي (ت: ١٢٤٤هـ / ١٨٢٩م) ولد ونشأ بخيرآباد. كان من مشاهير علماء الهند. له كتاب "المرقاة" في المنطق، و"تلخيص الشفاء"، وحواشي على "مير زاهد رسالة"، و"مير زاهد ملا جلال". (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٠٦٣/٧)

[٢] وهي قرية قديمة من محافظة سيتابور في إقليم أتربرديش الشهير من الهند. وقد اشتهرت بعلمائها العظام وصلحائها الكرام، ولذا سمّيت "خير البلاد".

[٣] هي مدينة قديمة وكانت تعد مركز سياسي مهم للهند، واتخذ عاصمة لعدة إمبراطوريات. تولى قطب الدين أيبك حكم سلطنة دلهي عام ١٢٠٦م. وكان في عصر السلطنة المغولية أيضا مركز السياسة. وحاليا دلهي هي مدينة وإقليم اتحادي هندي توجد فيه نيو دلهي عاصمة الهند.

مولانا الشاه عبد القادر المحدث الدهلوي[1]، ومن إمام المحدثين مولانا الشاه عبد العزيز الدهلوي. وحفظ القرآن الكريم في أربعة أشهر فقط. وانتهى من تحصيل العلوم في شبابه واشتغل بتدريسها في عام ١٨٠٩م.

تدريسه:

بعد إكمال دراسته جلس العلامة على منصب التدريس وكان عمره ثلاث عشرة سنة، وقضى حوالي خمسين عاما في تدريس العلوم الإسلامية والفلسفة والمنطق وعلم الكلام، وكان له تأثير كبير على طلابه بسبب أسلوبه البليغ والواضح في الشرح. وتتلمذ على يده عدد كبير من الطلاب الذين أصبحوا فيما بعد علماء وشعراء وقادة المفكريين. وخلال فترة تدريسه، لم يغفل قط عن أمور السياسية وعن تصانيف الكتب.[2]

مكانته العلمية:

كان العلامة الخيرآبادي فائقا على جميع الأقران في العلوم الأصلية والفرعية، متخصصا في أصول الفقه والعلوم الأدبية، إماما في المنطق والفلسفة، رجلا صوفيا وعالما بارعا في علم الكلام. وكان عارفا باللغة العربية والأردية والفارسية وبآدابها، ونقَّادا للغة الأردية وآدابها.[3] كما هو كان

[1] عبد القادر بن ولي الله الدهلوي (ت: ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م) عاش في دلهي والمكة المكرمة والحجاز. كان من أحد العلماء المبرزين في المعارف الإلهية، كان معلما. درس فضل الحق الخير آبادي منه. ترجم القرآن الكريم وفسره في لغة أهل الهند. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٠٢٧/٧)

[2] الثورة الهندية، لفضل الحق الخير آبادي، مترجم: عبد الشاهد خان الشيرواني، ص: ٢٤٠

[3] كما قال الأديب عبد الحي صاحب "نزهة الخواطر" في كتابه عنه: "أحد الأساتذة المشهورين، لم يكن له نظير في زمانه في الفنون الحكمية والعلوم العربية". انظر: عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج:٧، ط:١، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٩م، ص: ١٠٦٤

محسنا وأستاذا لأكبرِ شاعرِ الأردية "مرزا غالب"[١].

حياته الوظيفية:

في سن التاسعة عشرة، عُيّن العلامة فضل الحق الخيرآبادي رئيس المحكمة للقضايا المدنية، تحت رعاية شركة الهند الشرقية، وظل في هذا المنصب إلى الخامسة والثلاثين من عمره رغم أنه لم يكن يحب العمل في محكمة تديرها هذه الشركة؛ وكان هذا امتثالا لأمر والده، وبعد وفاته قدّم استقالة.

لم تمض فترة طويلة على استقالته، حتى توالت عليه الدعوات من أمراء وولاة مختلف الولايات الهندية، حيث رغب كل منهم في الاستفادة من علمه الغزير وحكمته البالغة. فاستُضيف في إمارة "جهجر"[٢] بدعوة من نوابه، وهناك تولى مهاما إدارية رفيعة. وخدم ولاية "ألور"[٣] و"سهارنبور"[٤] أيضا. وقد عين في ولاية "رامبور"[٥] على منصب عال، ثم عين صدر الصدور في في ولاية "لكناو"[٦].[٧] وبعد ذلك رجع إلى ولاية "ألور".

---

[١] مرزا أسد الله خان غالب (١٧٩٧ – ١٨٦٩م) ولد في مدينة آكرا في بنجاب من الهند. كان من كبار شعراء الأردية والفارسية، واسع الشهرة بغزلياته وقصائده في المديح. (د.عزيزة فوال بابتي، موسوعة الأعلام؛ العرب والمسلمين والعالميين، ج: ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٧١م، ص: ١٤٥)

[٢] هي مدِينة في ولاية هَرْيانَة، ولاية في شمال الهند.

[٣] ألور مدينة قريبة من جيبور في ولاية راجِستان من الهند.

[٤] سَهَارَنبور مدينة كبيرة شمال غرب في ولاية أُتَّربَرَدِيش شمال الهند.

[٥] رامبور هي مدينة في شمال الهند تقع في المنطة الإدراية اسمها مراد آباد، في ولاية أتربرديش.

[٦] هي عاصمة ولاية أتربرديش الهندية. تقع في منطقة تاريخية كانت تعرف في السابق باسم أوده. وتعد مركزًا للأدب الهندي والأردي أيضا. وكانت هذه المدينة تحت حكم النواب المسلمين.

[٧] د. قمر النساء، فضل الحق الخيرآبادي مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، د.ط، كنج شكر برنتر، لاهور، ١٩٨٦م، ص: ٦٠

ظروفه السياسية:

فتح العلامة الخيرآبادي عينيه في ظروف حين كانت الهند تمر بفترة مضطربة جدًا، حيث ضعفت الدولة المغولية الإسلامية بدلهي وعجزت عن إدارة شؤون الدولة، وشركة الهند الشرقية للإنجليز التي جاءت في الهند للتجارة وقد سيطرت على أرض واسعة من الهند، تولت زمام الحكم من أيدي الملوك المغوليين بالكيد والمكر وجعلتهم حُكّاما رمزيين فقط.

انتقلت السلطة تدريجيا إلى الشركة وبدأ عصر الاحتلال البريطاني. وعندما تسلّط الإنجليز على الحكم فأصبحوا قاسين وظالمين، كما بدؤوا تنصير الهند وفتحوا المدارس لنشر النصرانية، مما أضرّ بالمسلمين والهندوس معًا. تنصير الهند، وسياسة ضم الولايات المستقلة، وكثرة الضرائب، ومظالمهم الوحشية وإهاناتهم المتكررة تجاه سكّان الهند مما أثار مشاعر الغضب والكراهية في نفوس الهنود والمسلمين على حد سواء.

زعماء الهند وخاصة المسلمون بدأوا الحركات الوطنية لنشر الوعي ضد الاحتلال، حتى صدرت فتاوى دينية تعتبر مقاومة الإنجليز واجبا شرعيا.خاصة عندما أجبروا الجنود المحليين من الهنود والمسلمين على استخدام الشحم من البقر والخنزير في الرصاصات، فتمرّد الجيش في حامية بلدة "ميروت" في شمال شرق دلهي في ١٠مايو ١٨٥٧م، ثم اندلعت الثورات الأخرى في مناطق الشمال والشرق للهند. واتجه الجنود إلى عاصمة الهند "دلهي" وطردوا الإنجليز وأعلنوا بحكم الملك المغولي بهادر شاه الظفر[١]. كان هدف المسلمين استعادة مجدهم الضائع، بعد أن فقدوا سلطتهم التي كانت قائمة تحت حكم الإمبراطورية المغولية.

[١]الملك المغولي الأخير أبو ظفر سراج الدين محمد بهادر شاه ظفر (١٧٧٥ – ١٨٦٢م) ولد ونشأ بدلهي، وكان شاعرا وصوفيا. بعد فشل الثورة الهندية سنة ١٨٥٧م قام الإنجليز بالقبض عليه وأهل بيته، وعامله بوحشية بالغة، فقتلت أبناءه بين يديه، وأرسلوه في السجن بمدينة "رَنجون / Rangoon" مات بها. له أربعة دواوين شعر بالأردو. (محمد بن حسن

كان العلامة فضل الحق الخيرآبادي في ولاية "ألور" قبل بدء "الثورة الهندية ١٨٥٧م" في دلهي وحين انتصار المجاهدين في طرد الإنجليز من عاصمة المملكة. استدعاه الملك بهادر شاه ظفر للاستشارة واهتمام الأمور الإدارية؛ لأنه كان يعتمد عليه لإخلاصه وإصابة رأيه.[١] حدث ذلك بعد يأسه ممن كانوا حوله من الوزراء والأمراء وقواد الجيش، وعدم تمكنه من أمور الحكومة لأجل ضعفه وشيخوخته حيث بلغ ثمانينات من عمره.

كانت هذه الثورة بمثابة أول حركة جادة ضد السيطرة البريطانية على الهند، وتعتبر حرب الاستقلال الأولى. العلماء الذين دعموا هذه الثورة بفتاوى شرعية تعتبر مقاومة الإنجليز واجبا شرعيا، كان فضل الحق الخيرآبادي في مقدمتهم، فأصدر فتوى الجهاد ضد الاحتلال البريطاني، مؤكدًا أن المسلمين ملزمون شرعًا بالدفاع عن دينهم وبلدهم، وحثّ ملك الهند والأمراء والجنود وعامة الناس على الجهاد، ودعم الثُوّار فعلا للدفاع عن الإسلام والهند، ولكن الثورة فشلت.

وبعد استيلاء الإنجليز على دلهي في ستمبر ١٨٥٧م بمساعدة الخوّان والجواسيس، اتجه الخيرآبادي إلى ولاية "أوده"[٢] كحال المجاهدين الآخرين. وهناك بعد وصوله نظر في المحاذات المختلفة لجهاد الحرية وأخيرا قضى التعاون مع الملكة حضرت محل[٣]. وكان العلامة في "أوده"

بن عقيل موسى، المختار المصون من أعلام القرون، ج: ١، ط: ١، دار الأندلس الخضراء، المملكة السعودية العربية، ١٩٩٥م، ص: ١٦٩١)

[١] د. سلمة فردوس سهول، فضل الحق الخيرآبادي، ط:٢، دار الإسلام، لاهور . باكستان، ٢٠٢١م، ص: ٤٤ – ٥٤

[٢] أوده قديما مملكة في الهند الشمالي، وقبل الاستقلال جزء من أقاليم آكره وأوده المتحدة، وكان عاصمتها لكناو. أوده كانت رياسة مستقلة في عهد انحطاط السلطة المغولية.

[٣] امراؤ بيكم (١٨٢٠ – ١٨٧٩م) هي كانت رقاصة في قصر الملك أوده، ولكن فيما بعد تزوج بها الملك واجد على شاه ولقبها بـ "حضرت محل". بعد قضاء الحكومة البريطانية على واجد على شاه هي جعلت ابنها "برجيس قدر" حاكما على "لكناو" وكفلت أمور المملكة بنفسها. كانت امرأة شجاعة وقفت ضد الإنجليز في معارك الثورة الهندية. (د. قمر النساء، فضل الحق الخيرآبادي مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، ص: ٢٩٠)

عضوا خاصا في مجلس الشورى للمجاهدين، وكان له ربط محكم مع وزير الملكة حضرت محل.[1] دور العلامة فضل الحق الخيرآبادي الفريد ومكانته البارزة مما جعل البريطانيين يعتبرونه عدوًا خطيرًا وهدفًا مباشرًا لهم. فدفع ثمن موقفه الشجاع بالسجن والنفي المؤبد إلى جزيرة أندامان والاستشهاد في سبيل الله.

ظروفه الاجتماعية والدينية:

بعد الضعف الإسلامي في الهند تعرض المجتمع الإسلامي لحالة من التفكك والانحلال. غابت كثير من مؤسسات التعليم والقضاء الإسلامي. بدأ البريطانيون يفرضون نظامًا تعليميًا غربيًا علمانيًا، مما زاد من ضعف الهوية الإسلامية. وقد ظهر تفاوت شديد بين طبقات المجتمع، أي النخبة التي تعاونت مع البريطانيين حصلت على مناصب وأموال. أما الفقراء، خاصة من المسلمين ازدادوا فقرًا وجهلا، وفرضت عليهم قيود اقتصادية شديدة لأنهم تسلطوا على الاقتصاد.

ومن خدمات العلامة الخيرآبادي الدينية إثبات العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية والنقلية خاصة في الردّ على قضية إمكان النظير للنبي –صلى الله عليه وسلم– حيث قام بدور رئيسي ورائدي مثل جده الأعلى سيّدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في الدفاع عن مكانته –صلى الله عليه وسلم– الرفيعة بكونه خاتم النبيين، وله في هذا الصدد مؤلفات بالفارسية والعربية بالإضافة إلى إنتاج شعري.

خدماته التأليفية:

[1] د. قمر النساء، فضل الحق الخيرآبادي مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، ص: ١١٠ –١٢١

قد تميزت مؤلفات العلامة الخيرآبادي برفعتها وعلو شأنها، وقد كتب معظمها باللغة العربية وبعضها بالفارسية.

كان العلامة فقيها وأديبا قديرا في اللغة العربية، وكان يمتلك القدرة الكاملة على التحدث والتعبير بها، وأجاد كالأدباء الناطقين بالعربية. وفي أعماله النثرية سجّل حوادث الثورة الهندية ١٨٥٧م، وله قيمة كبرى لأنه يعتبر من سيرته الذاتية أيضا؛ لأنه تناول ما حدث في حياته في السنوات الأخيرة. وإنه كان بارعا في نظم الشعر العربي حتى نظم أكثر من أربعة آلاف شعر، ومعظم كلامه مشتمل على مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم. كما يذكر فيه عن المحن الشاقة التي عاشها أثناء نفيه من موطنه، وفي بعضه يهجو الإنجليز والكفار والحكام.

وألّف مؤلفات عديدة في علوم المنطق والفلسفة، والأدب، والكلام، والتصوف، والطبيعيات. وقد وصلت إلينا مؤلفاته بعضها بصورة مطبوعة وبعضها مخطوطة، ولبعضها فقط توجد الإشارات في الكتب المختلفة، فيما يلي أسماء بعض مؤلفاته المهمة المطبوعة بالعربية:

أ. ديوان فضل الحق الخيرآبادي (يضم ٣٣٧٠ بيتًا)

ب. حاشية سلم العلوم للقاضي مبارك (في المنطق)

ج. حاشية تلخيص الشفاء للشيخ أبي علي ابن سينا (في الفلسفة)

د. الهدية السعيدية (في الطبيعيات)

هـ. الروض المجود في تحقيق وحدة الوجود (في الإلهيّات والتصوف)

و. الثورة الهندية وقصائد فتنة الهند (في التاريخ)

وفاته:

عندما تسلط النصارى على جميع البلاد، أعلن العفو العام لأهل الهند قاطبة، ولكن العلامة أسر في هذه الأيام بتهمة أنه من قادة الثورة، واعتبره الإنجليز من أعظم أعداء الدولة البريطانية. حُكم عليه الحبس الدائم، ونُفي إلى الجزيرة أندامان. أثناء قيامه في الجزيرة الوبائية واجه العلامة صعوبات ومحنًا لا يمكن قياسها، ولكنه صبر وتحمل المصائب بثبات وهذا واضح من كتابه الثورة الهندية، ومن قصائده عن فتنة الهند. عاش العلامة الخيرآبادي هناك في تلك الظروف القاسية سنة وعشرة شهور حتى اختاره الله تعالى لجوار رحمته سنة ١٨٦١م. تغمده الله بواسع رحمته وكرمه ومغفرته.[١]

[١] ينظر: د. سلمة فردوس سهول، علامة فضل الحق الخيرآبادي، ط: ٢، دار الإسلام، لاهور – باكستان، ٢٠٢١م، ص: ٢٢-٦٠

تعريف بالكتاب "الثورة الهندية"

كان العلامة فضل الحق الخيرآبادي، رمزًا للصبر والإيمان، تعرض لنفيٍ قاسٍ من وطنه ظلماً، حيث أُرسل بعيداً إلى جزيرة أندامان، معزولاً عن أحبّته وأهله. وهناك، واجه أقسى المحن وأشدّ الصعاب؛ فقد حُرم حريته، وتعرّضت مكتبته الثمينة للتلف، وهو ما مثّل ضربة موجعة لعالم مثله عاش للعلم والفكر. ورغم تدهور صحته وسط تلك الظروف القاسية، ظل قلبه ثابتًا وعقله واعيًا، يستمد قوته من إيمانه العميق وصدقه مع الله. ففي أيامه الحالكة لم تغب أحوال المسلمين عن باله، فدوّن أحوال ما جرى في تلك الزمن في كتاب قيّم سمي بعده بـ"الثورة الهندية". وأرسله بيد مولانا عنايت أحمد الكاكوري[1] -الذي حظي بالسراح من المنفى- إلى ابنه عبد الحق الخيرآبادي[2]، الذي رتبه بجهد بليغ، ولكن لم يطبعه أحدٌ خوفا من الإنجليز.

طبع هذا الكتاب -بعد تسعين عاما من الثورة- لأول مرة سنة ١٩٤٧م في مدينة بريس، بجنور، بعنوان: باغي هندوستان (الهند الثائرة).[3] تناول العلامة فيه حكاية بغي الهنديين خلاف مظالم الإنجليز المتسلطين على الهند في أسلوبه الخاص وعباراته الأدبية في أعلى مرتبة الفصاحة والبلاغة، وفيه عذوبة والبيان ورشاقة وحمية بالغة وحلاوة فائقة. والذي يتركنا في الحيرة هو كتب هذه الوقائع في زمان لم يتيسر له كتاب من أدب وتاريخ أو لغة، ولا القلم والقرطاس بل كتبه

---

[1] عنايت أحمد بن محمد الكاكوري (١٢٢٨-١٢٧٩هـ / ١٨١٣-١٨٦٢م) ولد بدِيو في الهند. كان صدر الصدور في بلدة بريلي. هو اتهم في الثورة الهندية ١٨٥٧م بإثارة الفتنة، ونفي من الهند إلى جزيرة إندامان كما نفي فضل الحق الخيرآبادي. ومن حسن المصادفات أن حاكم الجزيرة كان يحب أن ينقل "تقويم البلدان" من العربية إلى الهندية، عرض ذلك عليه، فقبل. فاستحسنه وأطلق سراحه من الأسر. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٠٤٨/٧)

[2] عبد الحق بن فضل الحق الخيرآبادي (١٢٤٤-١٣١٨هـ / ١٨١٣—١٩٠٠م) هو ابن فضل الحق الخيرآبادي، أحد العلماء المبرزين في المنطق والحكمة. وقد كتب حواشي على الكتب المتعددة. (عبد الحي الحسيني الندوي، نزهة الخواطر، ١٢٦٣/٨)

[3] ينظر: د. سلمة فردوس سهول، علامة فضل الحق الخيرآبادي، ص: ٨١ - ٨٢

في زاوية الأسر بقلم الفحم على القراطيس والثياب البالية. ما يعكس قوته وعزيمته وإرادته الصلبة، وقدرته على الابتكار والتكيف مع أصعب الظروف ليخَلّد أحداثا هامة بروح الأدب والبلاغة، مقدما لنا تحفة أدبية وتاريخية تبرز إبداعه.

وصف فيه وقائع حرب الاستقلال من بدايتها إلى نهايتها التي حدثت سنة ١٨٥٧م واستمرت أربعة أشهر، وذكر الأسباب التى دفعت الجيوش إلى التمرد، وبين فيه سبب فشل الثورة، والاعتداء الذي مارس الحكومة المستعمرة ضد المحبوسين، وكان العلامة فضل الحق الخيرآبادي واحدًا من هؤلاء.

فكتابه عبارة عن سجل تاريخي يعتبر نموذجا مميزا ما يجمع بين وصف شاهد العيان والتحليل النقدي للأحداث بأسلوب بديعي رائع.[١]

[١] ينظر: د. قمر النساء، فضل الحق الخيرآبادي مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، ص: ١٧٣ – ١٧٩

الفصل الأول

المحسنات المعنوية في كتاب "الثورة الهندية"

المبحث الأول

الطِباق

المبحث الأول: الطِباق

الطباق مأخوذ من طابَقَ بمعنى وافق، وماثل، إذا تطابق الشيئان: تساوَيا، والمطابقة: الموافقة، وطابقت بين شيئين إذاجعلتهما على حذو واحد وأزلقتهما.[١]

عرفه خليل بن أحمد الفراهيدي في "البديع" بنفس المعنى، ويقول: "طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد".[٢]

واستخدم قدامة بن جعفر للطباق مصطلح "التكافؤ" في كتابه "نقد الشعر" ويشرح التكافؤ بمعنى التقاوم من جهة السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل.[٣] وقال ابن أبي الإصبع "للمطابقة" ضربان:"ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة، وضرب يأتي بألفاظ المجاز؛ فما كان منه بلفظ الحقيقة سميّ طباقا، وما كان بلفظ المجاز سميّ تكافؤا".[٤]

عند الجمهور الطباق هو الجمع بين الضدين، كما قال القزويني: "الطباق يسمّى المطابقة والتضاد أيضا، وهو الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد، كاسمين، أوفعلين، أوحرفين، أوبلفظين من نوعين. وله ضربان: طباق الإيجاب وطباق السلب".[٥]

خلاصة الكلام الطباق: "هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز ولو إيهاما، ولا يشترط كون اللفظين الدّالين عليهما من نوع

---

[١] مادة(ط ب ق)، لسان العرب، ١٢٠/٨

[٢] ابن معتز، البديع، تحقيق: عرفان مطرجي، ط: ١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢م، ص: ٤٨

[٣] ينظر: قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ط: ١، مطبع الجوائب، قسطنطنية، ١٣٠٢م ، ص: ٥١

[٤] ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: د.حفني محمد شرف، إحياء التراث العربي ـ الجمهورية العربية المتحدة، د.ت، ص: ١١١

[٥] الخطيب القزويني، الإيضاح، ص: ٣٤٨

واحد كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط. والتقابل بين معنيين له وجوه، منها ما يلي:

تقابل التناقض: (هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان) كالوجود والعدم.

تقابل التضاد: (هما اللذان لا يجتمعان ولكن يمكن أن يرتفعا) كالأسود والأبيض.

تقابل التضايف: كالأب والابن".[1]

وقد قسم البلاغيون الطباق إلى أقسام متعددة وأنواع متنوعة، منها:

التقسيم الأول: طباق الإيجاب، طباق السلب، طباق التدبيج، وإيهام التضاد.

التقسيم الثاني: وله ضربان، حسب درجة وضوحه بين معنيين متقابلين: طباق واضح ظاهر للعيان، وطباق خفيّ يقتضي شيئا من التفطّن.

التقسيم الثالث: من حيث نوع الكلمة؛ إما بين نوع واحد من أنواع الكلمة كاسمين، أوفعلين، أوحرفين، وإما من نوعين مختلفين.

[1] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج: ٢، ط: ١، دار القلم ـ دمشق، والدار الشامية ـ بيروت، ١٩٩٦م، ص: ٣٧٧

طباق الإيجاب:

"هو الجمع بين لفظين تضاد معناهما وكل منهما مُثبت".[1]

قد ورد هذا النوع من الطباق لما يصف المؤلف عن حالة الملكة "حضرت محل" التي عينها الثوّارون لطرد النصارى من لكناو. وهي كانت زوجة واجد علي شاه[2] المعزول، سلب النصارى ولايته قبل سنة من الثورة. ولكن بعد بطل عمل النصارى، حضرت محل أصبحت ملكة وجمع الجنود المنحرفة تحت رأيتها وجاهدوا ولكن الثورة فشلت. يخبر المؤلف عن أحوال الجنود المنحرفة من رافقوها حيث يقول:

﴿ **ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ** ﴾[3] [4] استخدم المؤلف التعبير القرآني الذي قدّم فيه الله سبحانه وتعالى أحوال هؤلاء الثلاثة[5] من تخلفوا عن غزوة تبوك، وما اتبعوا حكم النبي – صلى الله عليه وسلم. في هذه الآية الله سبحانه وتعالى يعبر عن حالة نفوسهم باستخدام الكلمتين المتضادتين، أي ضاقت عليهم الأرض مع رحبها ووسعتها بسبب مجانبة الأحباء، ونظر الناس لهم بعين الإهانة والتحقير؛ لأن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان معرضا عنهم ومنع المؤمنين من مكالمتهم وأمرهم باعتزال أزواجهم، وبقوا على هذه الحالة خمسين ليلة. وشعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على وسعتها ورحبها بالخلق جميعا، خوفا من

---

[1] د.عيسى على العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع، د.ط، دار النشر: جامعة حلب، ٢٠٠٠م، ص: ٥٦٠

[2] واجد علي شاه (١٢٣٧ – ١٣٠٤هـ – ١٨٢٢ – ١٨٨٧م) كان آخر ملك أوده. تم عزل واجد علي شاه من قبل الشركة الهندية الشرقية، وأرسل إلى كلكتة.

[3] التوبة: ١١٨

[4] فضل الحق الخير آبادي، الثورة الهندية، مترجم: محمد عبد الشاهد خان الشرواني، ص: ٧٠

[5] كعب بن مالك، هلال بن أمية، مرارة بن الربيع.

العاقبة وجزعا من إعراض النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين عنهم، وهجرهم إياهم في المجالسة والمحادثة، ولا تطمئن قلوبهم بشيء بسبب تأخر أمرهم من قبول التوبة.[1]

استشهد المؤلف الآية القرآنية لبيان أحوال الملكة ومن معها من أصحابها بعد فشل الثورة، وجاء بكلمتين متضادتين "**ضاقت**" و"**رحُبت**"، أي ضاقت عليهم الأرض برغم من وسعتها ورحبها بسبب ضيق المعايشة بعد تسلط جنود النصارى ومن والاهم من سكان الهند في أقطار البلد؛ لأن بعد انتشار النصارى في أقطار إمارة لكناو وتسلطهم عليها هي فقدت الخراج الذي كان يجيئ إليها. وظهرت الجواسيس والخوّان أيضا، فوقعت في ضيق شديد بعد ما كانت في نعم وسرور.

فالطباق من الفنون الذي يتعامل مع المعنى ونقيضه، ومن جمالية الطباق جمع بين الضدين في موضع واحد يقدم في ذهن المتلقي ضربا من الانتقال السريع بين الكلمة وضده والشيء ومقابله. وحين يتحقق للإدراك هذه الإحاطة بالمتباعدات في الواقع تنشط الفعالية الإدراكية. وإدراك الكلام بهذا الأسلوب يوسع الفهم ويثير في ذهن المتلقي الاندهاش والاستغراب والتساؤل.[2] ونرى هنا أن الطباق قد حقق النجاح من حيث الأثر المعنوي.

كما نرى الطباق بين كلمات "**ترك البلادَ بِيْدًا، والأحرارَ عبيدًا، والأغنياءَ مساكين، والنبلاءَ مهاجين**"[3] [4] حين يبين المؤلف أثرات عن الحادثة الفاجعة التي غيرت أحوال الناس. كان الناس حرًا، وكانوا يعيشون مطمئنّين برفاه الحال وفراغ البال، ولهم مكانة عظيمة بين الناس؛ ولكن الآن غيّر حالهم بعد تسلط النصارى عليهم فوقعوا في ضيق، وأجبروا على

---

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج: ١٢، ط: ١، دار طوق النجاة، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠١م، ص: ٧٣

[2] ينظر: د.عيسى علي العاكوب، المرجع السابق، ص: ٥٦٩

[3] فضل الحق الخير آبادي، الثورة الهندية، ص: ٦٠

[4] بِيْد: جمع بيداء، هو مكان مستوي لا تكون إلا في أرض طين، صحراء (ب ي د)، ٥٤٨/١، مهاجين: جمع الهجين، مراد منه معيب ولئيم (هـ ج ن)، لسان العرب، ٤٢/١٥

معايشة بدون الديار ومتطلبات الحياة. نلاحظ وجود الطباق بين كلمات "**الأحرار**" و"**عبيدا**"، وبين "**الأغنياء**" و"**مساكين**"، وبين "**النبلاء**" و"**مهاجين**". ما يبرز لنا صورة واضحة عن تناقضات في حالتي سكان البلد أي قبل تسلط النصارى وبعده.

وفي موضع آخر يطابق المؤلف بين صفتي النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حيث يقول: "**والصّلوةُ على بَشِيرٍ بَشِيرٍ نَذِيرٍ، بَشَّرَ بِه أنْباءُ الأنْباءِ، المرَجّى شَفاعَتُه لدفعِ البَلايا والأَوباءِ، وكَشْفِ ظُلَمِ ظُلْمِ الأعْدَاءِ، والشِفَاء من عُضَال الداءِ وَبَال الشَقَاءِ**".[1] [2] فنجد الطباق الظاهر بين اسمين "**بشير**" و"**نذير**" المراد من الأول مبشرا للمؤمنين بالثواب الجسيم وجنات النعيم، ومن الثاني منذرا للكافرين من العقاب الأليم وعذاب الجحيم. وورد الطباق هنا عن بيان أوجز حال الفريقين، فهو بشير لقوم ونذير للآخرين. وأيضا هناك الطباق بين كلمات "**الشفاء**" و"**عضال الداء**"، الشفاء هو زوال المرض وما يقابله هو المرض الذي لا دواء له. فالمقابلة بين الشفاء وعضال الداء من محسن الطباق لأن تقابل المعنين وتخالفهما يزيد الكلام حسنا وطرافة.

ونوع آخر من الطباق هو الطباق الخفي الذي ذكره المؤلف في قوله: "**أما المسلمون فقد اختلفوا اختلافا، فبعضهم للنصارى قالون، وبعضهم لهم مُوالون**"[3] [4] جاء أسلوب الطباق بين اسمين "**قالون**" و"**مُوالون**"، أصلا ليس هناك تضاد حقيقي في اللغة بين "قالون"

---

[1] بَشِير: الحسن الوجه، (ب ش ر)، لسان العرب، ٤١٥/١، بَشِير: المبشّر (ب ش ر)، لسان العرب، ٤١٤/١، أنباء: الأخبار، (ن ب ء)، لسان العرب، ٩/١٤، الأنباء: الأنبياء، (ن ب ء)، لسان العرب، ٩/١٤، البلايا: جمع بليّة وبَلوى بمعنى مصائب وكوارث، (ب ل ا)، لسان العرب،٤٩٧/١، أوباء: جمع وباء، يشير إلى ظروف الجزيرية الوبيئَة، ظُلَم: جمع ظُلْمَة، بمعنى ذهاب النور، (ظ ل م)، لسان العرب، ٢٦٧/٨، ظُلْم: عدم الانصاف، (ظ ل م)، لسان العرب، ٢٦٣/٨، عُضال الداء: هو المرض الذي يعجز الأطباء علاجُه، (ع ض ل)، لسان العرب، ٢٦٠/٩

[2] الثورة الهندية، ص: ٢٦

[3] قالون: مبغضون (ق ل ى)، لسان العرب، ٢٩٣/١١، مُوالون: محبون ومناصرون (و ل ي)، لسان العرب، ٤٠٢/١٥

[4] الثورة الهندية، ص: ٣٨

و"موالون"، إنَّما التضاد الحقيقي بين مُوالون ومُعارضون وبين قالون ومحبّون ولكن الذي آثره النظم يفيد التضاد ويزيد على الضد في المعنى، لأن المؤلف قابل بين الجماعتين، الثانية تساعد النصارى أما الأولى بسبب بغض وحقد معارضة لهم.

وكذلك في قوله: "**الأقربين من سريره وسريرته**"[1] يذكر نفس النوع من الطباق بين كلمتني "**سريره**" و "**سريرته**". فالمراد من السرير "**المكان الذي ينام عليه الشخص، أي فراشه**"، ما يشير إلى الأشخاص الذين يشاركونه حياته اليومية والمادية. بينما كلمة سريرة تَعني "**ما يُكتَمُ ويُسَرّ**"، ما يشير إلى الأشخاص الذين هم على علم بأسراره ونواياه الداخلية. نلاحظ في النص الطباق الضمني أو الخفي لأنه يشير إلى الأشخاص الأقرب إلى الملك من ناحيتن: من يعرفون باطنه وأسراره، ومن يشاركون حياته الظاهرية والمادية. والجمع بينهما في الجملة الواحدة تجعل الجملة قوية ومعبرة ما تعكس شمولية المعرفة للناس المقربين في حياة الملك سواء الخفية أو الظاهرة.

ويذكر تكرار الطباق عند وصف حالة الملك الأخير "سراج الدين بهادر شاه ظفر" من السلطنة المغولية في الهند، حيث يقول: "**وهو إمّرٌ لا يعمل أمرًا، ولا يعمل إلا إمرًا، ولا يأمر برأيه أمرًا، ولا يفقه خيرًا ولا شرًّا، ولا يحكم بشيء جهرًا وسرًا، ولا يملك نفعًا ولا ضرًا**".[2] [3] فيصف عن عجز الملك هو الذي كان ضعيفًا وعاجزًا لكونه في الثمانينيات من عمره، وكان غير مؤهَّلٍ لإدارة السلطنة، باستخدام أسلوب المقارنة بين ضدين في كلمات "**خيرًا**" و"**شرًا**"، "**جهرًا**" و"**سرًا**"، "**نفعًا**" و"**ضرًا**". نجد هنا أن الطباق يفيد معنى الشمول، ويجذب انتباه المتلقي لأن عند قراءة الكلمة خيرًا ينصرف ذهنه مباشرة إلى نقيضها شرًا،

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٤

[2] إمّر: الأمير، (أ م ر)، لسان العرب، ١/ ٢٠٦، إمْرُ: الأمر العظيم الشنيع والعجيب، ٢٠٧/١، أمْرُ: مصدر أَمَرَ نقيض النهي، ٢٠٣/١،

[3] الثورة الهندية، ص: ٣٤

وكذلك عند ذكر كلمة نفعًا يكون ذهنه مستعدًا لضدها ضرًا، فالتصور أحد الضدين فيه تصور للآخر، على هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيّا للآخر ومستعدا له، فهذا الأسلوب يحقق للمتلقي نوعًا من المتعة والنشاط.

ونرى في موضع آخر استفاد المؤلف بالتعبير القرآني ﴿ **خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ** ﴾[1] [2] لبيان حال قومٍ مضطربي الإيمان، مذبذبين في دينهم، ولا ثبات في آرائهم إنْ أصابهم خيرًا فرحوا به، وإن أصابهم الشدة، أو الضيق، أو اختبار تركوا دينهم ورجعوا إلى الكفر، فلحقهم الخسار والدمار في دينهم ودنياهم، ذلك هو الخسران الذي لا خسران بعده.[3] هنا استوظف هذه الآية لبيان خيانة طبيب الملك المغولي "أحسن الله خان"[4] هو الذي ارتد عن دينه وساعد النصارى ضد المسلمين فبقي خاسرًا و ذليلًا في الدنيا والآخرة. ونرى الطباق هنا بين اسمين الدنيا والآخرة لبيان حال الطبيب هو الذي عاش ذليلًا ومهينا بين الناس، وبقي خاسرًا في الآخرة، أي لم يحصل شيئًا في الدنيا ولا حظ له في الآخرة.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٥٠

[2] الحج: ١١

[3] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج: ١٨ ص: ٢٣٦

[4] الحكيم أحسن الله خان هو ابن الحكيم عزيز الله خان كان من عائلة صديقية نسبا، ومن أجداده الخواجه زين العابدين جاء من هرات وأقام بكشمير ثم انتقلت هذه الأسرة إلى دلهي ولما جلس بهادر شاه ظفر على سرير المملكة لقبه احترام الدولة طبيب جنك. وكان طبيب الملك ومعتمده ولكنه صار جاسوس الإنجليز خلال الثورة. (د. قمر النساء، فضل الحق الخيرآبادي مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، ص: ٢٧٠)

وفي قوله يشير إلى شدة المعركة بين الفريقين التي استمرت أربعة أشهر، حيث يقول: "**يتجالد الفريقان ليلًا ونهارًا ورُكْبَانًا ورُجَّالًا**"[1] [2] ويبين هذه الشدة بالطابق بين كلمتين وضدهما لتوسيع المعنى في ذهن المتلقي. فيطابق بين اسمين "**ليلًا**" و"**نهارًا**"، وبين "**ركبانًا**" و"**رجالًا**". وفي قوله: "**ولم يستطع أحد من الجيوش هناك قياما وقعودا**"[3] يجمع معنيين متضادين بين "**قياما**" و"**قعودا**"، ما يشير إلى حالة الجيش، ويوحي إلى شدة المعركة. وأن تقديم الشيء وضده يعين المعنى المطلوب كما نرى أثرًا بالغًا في توضيح المعنى وتحسينه.

وفي قوله:"**جعلت الأمراء فقراء صعاليك، والملوك أسَراء مماليك**".[4] نرى طباق وسجع واضح بين الكلمات "**أمراء**" و"**فقراء**" من جهة، و"**ملوك**" و "**أسراء**"من جهة أخرى. فالأمراء والملوك يمثلون الطبقة العلياء والقوة والسيطرة، بينما الفقراء والصعاليك والأسراء والمماليك يمثلون الطبقة الفقيرة والضعف والانكسار. وهذا التباين يبرز التغيَّر الكبير الذي طرأ على حالتهم نتيجة للحادثة الفازعة.

وقوله: "**لكنها فوّضت الأمر كله، عقده وحله، دِقَّه وجِلَّه إلى عامل خامل ... لم يكن للأمر أهلا ... يستصعب كل سهل، ويحسب كل صعب سهلا**".[5] يظهر الطباق بين "**عقده**" و"**حله**"، حيث إن "العقد" يعني التعقيد والمشكلات، بينما "الحل" يعني فكّ هذه العقد. وهذا التضاد يعكس التباين بين المشكلة وحلها. وأيضًا يظهر الطباق بين "**دقه**" و"**جله**"، حيث تعني "دقه" الأمور الصغيرة والتفاصيل، بينما "جله" تشير إلى الأمور الكبيرة

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٨

[2] رُجَّال: جمع راجل أي غير راكب.

[3] الثورة الهندية، ص: ٤٠

[4] المصدر السابق، ص: ٢٨

[5] المصدر السابق، ص: ٦٢

والمهمة العظيمة. هذا التباين يعكس الشمولية في تسليم الأمور كاملةً بتفاصيلها الكبرى والصغرى. وقد نجد التناقض المعنوي أيضا في العبارة الأخيرة، ما يبين فكر الشخص الذي أُسند الأمر إليه؛ فهو يرى السهل صعبا والصعب سهلا، مما يدل على عدم إدراكه وفهمه لحقيقة الأمور. والتناقض بين المعاني يبين المعنى أكثر عمقًا، ويقدم الفكرة أن هذا الشحص غير مناسب للمسؤولية، حيث يكشف التناقضات والتعقيدات في تفكيره وتقديره للمواقف. ويعمل الطباق هنا على إبراز ضعف فهمه، وعدم قدرته لإدارة الأمور.

وكذلك نلاحظ طباق الإيجاب في قوله: "**لا لدواهم**[1] **دواء ... فالعيش والموت عندهم سواء**".[2] [3] فيظهر الطباق بين اسمين متضادين "**العيش**" و"**الموت**"، وبين"**دوًى**" و"**دواء**"، تعني بدوًى المرض، وبالدواء العلاج أو الشفاء، وهذا التباين يعبر عن عدم وجود العلاج والدواء في الجزيرة التي نفي الثوّارون إليها، ويبين لنا أن حالة سيئة للمرضى جعلتهم مثل الأموات، فأصبح العيش والموت عندهم سواء.

وفي قوله: "**أغدو وأروح، وجثماني كله مصاب بقروح**".[4] نجد مطابقة بين فعلين متقابلين "**أغدو**" و"**أروح**" مراد منهما أعيش صباحا ومساء. المؤلف هنا يشير إلى شدة المرض الذي أصابه بعد نفيه إلى الجزيرة الوبيئة وهناك لا دواء يوجد ولا طبيب، ويشير إلى شدة الألم الذي لا خلاص منه بسبب عدم تيسّر العلاج.

ويبيّن في قوله: "**لا علاج لسقيم، مَن يُداوِي فيه يَدْوَى**"[5] الطباق الظاهر بين فعلي "**يداوي**" أي من يعالج المرضى، "**يَدْوَى**" يصبح مريضًا ويهلك بمرضه، في العبارة يبين المؤلف

---

[1] في نسخة قمر النساء: لدائهم

[2] الثورة الهندية، ص: ٦٢

[3] الداء: اسم جامع لكل مرض وعيب في الرجال، الظاهر أو الباطن، (د و ء) لسان العرب، ٤٣٦/٤، دوًى: مضارع يَدوى، بمعنى المرض، (د و ا) لسان العرب، ٤٥٤/٤

[4] الثورة الهندية، ص: ٨٠

[5] المصدر السابق، ص: ٧٨

الخيرآبادي صعوبات الجزيرة "**أندمان**" التي كانت فيها الوباء عاما، والهواء متعففا، ومن كان يعالج نفسه يمرض أكثر.

ويقدّم في قوله: "**وهو ميسِّر لكل عسير**"[1] من أسهل وألطف الطباق أثناء بيان حمد الله سبحانه وتعالى وعن ثقته في قدرة الله تعالى على تغلب الصعوبات وتيسير الأمور.

وفي قوله: "**وأَتْلَفُوا النفوس والنفائس أىّ إِتْلافٍ**".[2] نجد الطباق بين كلمتي "**النفوس**" و "**النفائس**"، حيث أن النفوس تشير إلى الناس ، بينما النفائس تشير إلى الأشياء الثمينة والممتلكات. هذا الطباق يبرز التناقض بين الجانبين ويفسر لنا أن الضرر والإدمار كان على نطاق واسع الذي يصيب الأرواح والأشياء المادية على حد سواء، ما يعطي العبارة تأثيرا قويا.

طباق السّلب:

هو الطباق الذي يختلف فيه اللفظان إيجابا وسلبا، أو كما عرفها القزويني: "هو الجمع بين فعلي مصدر واحد مُثبت و مَنفيّ، أو أمر ونهي".[3]

ومن الطباق السلب في كلام المؤلف حيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد في قوله: "**ثم إن الوالية، أي الحضرة العالية، بعد ما آوَى إليها جُمُوع من الجيوش الأولى هربوا، وكثيرا من الذين اغتربوا، عَبَرت معهم من البِحار والأنهار، اللآتي لا يَعْبُرُ منها بدون الفُلك**".[4] قد ورد الطباق في الفعل "**عَبَرت**" ونفيه "**لا يَعْبُرُ**" والغرض منه بيان مصائب الطرق وشدائدها التي عاشت ملكة "حضرت محل" ومن كان معها بعد خروج من مدينة "لكناو".

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٨٢

[2] المصدر السابق، ص: ٧٤

[3] الخطيب القزويني، الإيضاح، ص: ٢٥٧

[4] الثورة الهندية، ص: ٦٢

ونجد هذا النوع من الطباق في موضع آخر عندما يخبر المؤلف عن أحواله: "**رجعت إلى أهلي ووطني، وداري وسكني، مطمئنًا بموثق الأيمان، غافلًا عن إنه لا أيمان لمن ليس له إيمان**".[1] [2] فجاءت المطابقة بين اسم "**الأيمان**" ونفيه "**لا أيمان**"، جمع يَمِين، يدل على العهد الواثق، والمراد منه لا يمكن الوثوق لمن ليس له الإيمان. قدم المؤلف أولا كلمة مثبتة الأيمان، ثم ينفي قوله لا أيمان مع ذكر الدليل لمن ليس له إيمان. وذلك ما يحقق من إيضاح المعنى، وإظهار تقويته عن طريق المقارنة بين الضدين.

وفي قوله: "**لاسلامة لسليم**"[3] يشير إلى مشاكل الجزيرة الوبائية، أي ليس هناك شخص ـ مهما بدا سليما أو صحيحا ـ في مأمن من تأثيرات الوباء. واستخدام الطباق هنا يعزز الفكرة أن المخاطر غير متوقعة وشاملة، مما يعكس مدى تأثير الوباء على الجميع.

إيهام التضاد:

"هو أن تتوهم التضاد بين اللفظين وهما ليسا متضادين، وبعبارة أخرى: هو أن تعبر عن معنيين غير متضادين بلفظين متضادين".[4]

نرى هذا النوع من الطباق في كلام المؤلف لما يصف عن حاله في السجن وسوء المعاملة بالسُجناء سواء كانوا شبَّانًا أو شيوخًا "**وبليتُ مع ما لي من كِبَرٍ وتَوْأَنٍ[5]، بصَغارٍ وهَوَانٍ، في كل آنٍ**".[6] فإن "**صَغار**" من حيث المعنى ليس ضد الكلمة "**كِبَر**"، لأن صغار يدل على

---

[1] موثق الإيمان: العهد الواثق، الصادق، والمراد من لا أيمان: لا ثقة لا قسمًا وحلفًا، وكلمة أخيرة إيمان:ضد الكفر، لسان العرب، ٢٢٣/١

[2] الثورة الهندية، ص: ٧٢

[3] المصدر السابق، ص: ٧٨

[4] د.أحمد حسن المراغي، علم البديع، ط: ١، دار العلوم العربية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩١م، ص: ٦٩

[5] تَوْأَن: ضعف البدن

[6] الثورة الهندية، ص: ٧٦

الذُلّ والمهانة، وكلمة كِبَر على التقدّم في السِّن، ولكن من ناحية اللفظ يوهم بالمطابقة. المؤلف هنا فهو يعبر عن حالته في جزيرة أندامان وكان آنذاك شيخًا ضعيف البدن في الستينيات من عمره، يشعر بالذل والمهانة في كل لحظة، وكأنه عاش في محنة لا تنتهي.

طباق التدبيج:

هو"أن يذكر في معنى كالمدح وغيره لونان أو ألوان بقصد الكناية أو التورية".[1] وسمي طباق التدبيج لأننا نرى التقابل بين ألفاظ الألوان. كما قال المؤلف في وصف النصارى: "**في أَسْرِ أبيضَ أسْودِ الكَبَدِ**"[2] ونرى هنا استخدمت الكلمة أبيض بلفظه المباشر "**تبييض الوجه**"، المراد منه "**الإنجليز**"، وكلمة أسود كناية على "**الحقد**" وعلى "**الذي لا يسامح**". فدلالة اللون الأبيض يدل على الشيء الواضح والظاهر غير الكلمة الأسود هو الذي يدل على الخفاء. والمعنى آخر الذي يشير إلى اللون الأبيض هو النُقاء والإضاء وما يقابله يوحي إلى الظلام والقساوة وعدم الطهر. هنا المراد من كلمة "أبيض" بياض وجوه الإنجليز فمن يرى إلى وجوههم ينبهر وينخدع بجمالهم ولكن أفعالهم السيئة يعبر عن نواياهم وحقدهم وخبث بواطنهم.

نلاحظ من كتابات المؤلف إنه سلك على المذهب "البديع"، حيث جمع بين قوة البيان وجمال الزخرفة اللفظية، متأثرا بالشعر العربي التقليدي، وخاصة بأسلوب أبي تمام. كما نجد في كلام أبي تمام الإغراق في البديع واستخدام التراكيب غير مألوفة بإدخال أنواع جديدة من البديع، وإدماجها بأسلوب منفرد. هكذا نلاحظ في الأمثلة المذكورة عن الطباق براعة المؤلف في توظيف الطباق بجميع أنواعه ليبرز الصراعات السياسية والاجتماعية في عصره. فأسلوبه ليس مجرد وصف للأحداث، بل يوحي أداة تعبير بلاغي يعكس روحه الثائرة وفكرته

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح، ص: ٢٥٨

[2] الثورة الهندية، ص: ٢٨

العميقة. وقد ساعده أسلوبه اللغوي المعقد من بطش الحكومة البريطانية الظالمة الغاشمة حيث يقدم رسالته معتمدا على مجموعة من التقنيات البلاغية والتعبيرية التي مكنته من تمرير أفكاره عن الثورة تحت غطاء لغوي ذكي.

المبحث الثاني
المقابلة

المبحث الثاني: المقَابَلة

المقابلة: لغة من فعل قابل أي قابل الشيء بالشيء إذا عارضه، ومقابلة الكتاب بالكتاب، والمقابلة:المواجهة.[1]

وإصطلاحًا فن من الفنون البديعية المعنوية، وقد أدخله بعضهم في الطباق، وبعضهم جعله فنًّا مستقلا. وأوّل من تكلّم عن المقابلة هو قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر" تحت باب "ومن أنواع المعاني وأجناسها أيضا صحة المقابلة".[2]

عرّفها أبو هلال العسكري: "إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة".[3]

أما الخطيب القزويني فقد عرّف المقابلة في كتابه "الإيضاح" بالقول: هي أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب".[4] وقسمها إلى خمسة أنواع: مقابلة اثنين باثنين، ومقابلة ثلاثة بثلاثة... إلى مقابلة ستة بستة.

"ويرى علماء البديع أن أعلى رُتَب المقابلة وأبلغها هو ماكثر فيه عدد المقابلات شريطة أن لا تؤدي هذه الكثرة إلى التكلف أو توحي به".[5]

---

[1] مادة(ق ب ل)، لسان العرب، ٢١/١١

[2] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص: ٤٧

[3] أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر، تحقيق: على محمد الجباوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط: ٢، دار الفكر العربي، د.ت، ص: ٣٤٦

[4] الخطيب القزويني، الإيضاح، ص: ٢٥٩

[5] ابن معتز، البديع، ص: ٦

ويقول ابن أبي الإصبع عن صحة المقابلة: "عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق، ومتى أخلّ بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة".[١]

والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين:

- المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين الضدين، والمقابلة تكون غالبًا بالجمع بين أربع أضداد أو أكثر منه.
- المطابقة تكون بالأضداد، أما المقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد.[٢]

والمقابلة له دور كبير من حيث تحسين المعنى وتنميته وتوضيحه وتأكيده في الكلام. في الحقيقة عملية التقابل من جبلة الإنسان. والعقل البشري دائمًا يوازن بين الأشياء التي تعرض له وتدور في محيط تفكيره، إذا فكر في الباطل تذكر الحق، إذا كذب يفكر عن الصدق. فالجمع بين الأشياء المتقابلة يأتي من انسجام كامل بين الصورة وما يقابلها لاستشعار جمالها. وهذا الجمال الفني الذي تفيده المقابلة استوظفه المؤلف في كتابه "الثورة الهندية" حيث يقول: "**وكانوا مِن السُفَهاء الخَوَّان الجُبَناء، المتَنَفِّرين من العُقَلاء الأُمَناء**"[٣] فيخبر عن حماقة قواد الجيش وخيانتهم التي تبعدهم من العقلاء والأمناء. والسلطان المغولي ملك الهند جعلهم قادة الجيش ضد النصارى، وكان بعض منهم من عائلته، ولكن لم يكن عندهم خبرة، ولم يعرفوا أساليب الحرب، بل كانوا يتسمون بالجبانة لا بالشجاعة، والبعض من الوزراء والأمراء كانوا جواسيس الإنجليز. هنا يبيّن المؤلف عن شدة جهالتهم وسفاهتهم بأسلوب المقابلة بين "**السفهاء**"

[١] ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص: ١٧٩

[٢] ينظر:د.عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية؛ علم المعاني ـ البيان ـ البديع، ص: ٥٠٤ – ٥٠٥

[٣] الثورة الهندية، ص: ٣٤

و"**العقلاء**" أي ما استفادوا من يستطيع أن يوجههم توجيهًا صحيحًا بل يبتعدون ويتنفرون من العقلاء والخبراء، وبالمقابلة بين "**الخوّان**" و"**الأمناء**" يوضح الفرق بين الخونة الذين تحالفوا مع المستعمر وبين الوطنيين الشرفاء، ما يعزز موقف المقاومة ضد الخونة ويجعل القارئ يكرهم بشدة.

وفي موضع آخر يقول:"**فَرَمَى عسكر النصارى بالبنادق والمجانق من أمامهم وُجُوههم وصُدُورهم، ورَمَتْ جماعة ذلك الدُهقان الكفار المكّار الغدّار من خلفهم أدبارهم وظهورهم**"[1] يخبر عن الخيانة التي تعرض لها الجيش الإسلامي من الداخل لأن دهاقين البلد وعدوا بمساعدة الجيش، ولكن انضموا مع النصارى واقتحموا على الجيش الإسلامي من خلفهم. قابل المؤلف لبيان الأمر المفاجئ الذي أصاب الجيش الإسلامي باستخدام الكلمات "**أمامهم**" و"**خلفهم**"، و"**وجوههم**" و"**أدبارهم**"، و"**صدورهم**" و"**ظهورهم**". وقد وقع مقابلة هنا بين ستة أضداد بأحسن الترتيب حيث قدم كلمة أمامهم في صدر الكلام مقابلها خلفهم في عجزه على الترتيب وهكذا بقية الكلمات، ما يبرز الحصار الكامل الذي تعرض له المقاتلون. وهذا يعكس شدة القتال.

ونلاحظ مقابلة المؤلف بين حياته السابقة التي كان يعيش فيها في مهد الهناء والرخاء والسعادة أما الآن في السجن يعاني المصائب والشدائد لا يمكن تصورها بقوله: "**وأخَذُوا مِنّي فراشًا ليّنًا حسنًا، ومهِّدوا لي وطَّاء مؤلمًا خشنًا**".[2] وقد ذكرالفعل "**أخذوا**" في صدر الكلام وما يقابله فعل "**مهّدوا**" في عجزه. وهكذا بمقابلة "**فراشًا**" و"**وطَّاء**"، و"**ليّنًا**" و"**خشنًا**" يقدم تصوير

[1] الثورة الهندية، ص: ٦٨

[2] المصدر السابق، ص: ٧٦

التناقض بين الراحة التي كان فيها، والمعاناة التي تعرض لها بسبب الاحتلال ما يسهل فهم القارئ تصور معاناته.

ويذكر المؤلف سببًا من أسباب تمرد المسلمين والأهاند ضد الإنجليز حتى لم يتمكنوا من التحمل وثاروا بقوله: "**فكلفوا الأهاند منهم وهم جمّ غفير، وجمع كثير بإذاقة شحوم البقير، والمسلمين وهم قليل نزير بإذاقة شحوم الخنازير**".[1] وهنا يقابل بين مذهبين أي دين الحكّام "الإسلام" و"الهندوكية" -كان مذهب أغلبية الهند-، وبين عدد أتباعهما، أي الأهاند الذين كانوا كثيرين بمقابلتهم المسلمون كانوا قليلين. وقابل بين معتقداتهما حيث أجبر الإنجليز الأهاند على تذوق لحم البقر الذي كان مقدسًا عندهم والمسلمين على تذوق لحم الخنازير الذي كان حراما عندهم. والسبب وراء ذالك كانت الخراطيش مُغطّية باللفائف الورقية المطلية باللحم، فرفضوا استعمالها بدليل أن لمس هذه الخراطيش وفتحها بالفم كان ممنوعا حسب تعليماتهم الدينية.

ونجد في قوله "**ولم ينجح مِن هؤلاء الضعفاء إلا مَن فر مستخفيا متواريا بالليل ساريًا، أو من جد مسرعًا هاربًا بالنهار ساربًا**".[2] مقابلة بين "**مستخفيا متواريا**" و"**مسرعا هاربا**" وبين "**الليل**" و"**النهار**" وبين "**ساريًا**" و"**ساربًا**"، حيث يبيّن شدة خوف الناس من مظالم الإنجيز الذين كانوا يقتلون ويخنقون لكل من يجدونه. فالناس من شدة خوفهم كانوا يفرون منهم ليلًا ونهارًا. فالمقابلة هنا يوضح القلق المستمر الذي عاشه المقاومون، مما يجعل القارئ يتعاطف معهم.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٢

[2] المصدر السابق، ص: ٤٨

ويقابل ستة أضدادا في قوله: **"وكنتُ زَمِنًا سليمًا قُرحانًا، واليوم صِرتُ زَمِنًا كليمًا قُرحانًا"**[1] [2] بين حياته السابقة التي عاشها بالعافية مع حياته بعد القيد التي يتوجع فيها ويعاني شدائد لا يمكن قياسها. فقابل زمنا بزمن وسليمًا بكليم، كلمة قُرْحانا مرة بمعنى لم يمسه القرح أي الجرح، ومرة الذي مسّه القرح مع معان متضادة، ما يعطي فكرة واسعة عن الألم والجرح لأن تقديم ثماني كلمات متضادة يبرز معنى بشكل أوضح وأقوى؛ ويساعد في إيصال الأفكار بأسلوب ممتع ويؤثر على القارئ بشكل عميق.

تعتمد المقابلة على الجمع بين معنيين أو أكثر ثم مقابلتها بأضدادها، وهي أكثر تعقيدا من الطباق لأنها تتضمن أكثر من عنصر متضاد في نفس السياق. وقد يستخدم فضل الحق الخيرآبادي أسلوب المقابلة ببراعة فائقة حيث يجمع ثمانية أضداد لإبراز التناقضات بين الخيانة والأمانة، وبين القوة والضعف، وبين الراحة والعذاب ما يثير مشاعر الغضب تجاه الاستعمار البريطاني والخونة الوطنيين، ويحفزّ المقاومة.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٨٠

[2] زَمِن: الأول بمعنى كبير السن و العجز مع مرور الزمان، والثاني بمعنى مصابا بمرض مستمر أو عاهة دائمة (ز م ن)، لسان العرب، ٦/ ٨٦ –٨٧ ، قُرحان: من الأضداد: الأول رجل الذي لم يمسه القَرْح لا جَدري ولا حصبة، وأيضا بمعنى الذي لم يشهد الحرب، والثاني رجل الذي مسّه القرح، (ق ر ح)، لسان العرب، ٩٠/١١

المبحث الثالث

مراعاة النظير

المبحث الثالث: مراعاة النظير

هو الإبداع الجمالى الذي يسمّى التناسب والتوفيق والائتلاف والتلفيق والمؤاخاة. عرّفه القزويني: "هو جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد".[١]

وعند البلاغيين: "هو أن يجمع المتكلم بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد".[٢]

وقيل: "أن يجمع الناظم أو الناشر أمرا وما يناسبه لا بالتضاد لتخرج المطابقة، سواء كانت المناسبة لفظا لمعنى، إذ المقصود جمع الشيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أي وجه من الوجوه".[٣]

ومن أبرز مظاهر هذه الجمالية هو الانسجام، والتناسب والتلاؤم، والمؤاخاة، وحسن النسق، وتشابه الأطراف، وإيهام التناسب. وهي الأمور التي تضفي على كلام المتكلم مظهرا من مظاهر القوة؛ فإن التناسب والتلاؤم بين الألفاظ والمعاني يعزز بعضها دلالة بعض وينمّيها.[٤] وقد قدّم المؤلف في "الثورة الهندية" عدة مظاهر مراعاة النظير لتقوية المعاني وانسجامها وتناسقها وجمالها.

كقوله: "**جعلت الأمراء فقراء صعاليك، والملوك أسَراء مماليك**"[٥] يظهر التناسب بشكل واضح من الجمع بين ألفاظ ومعانٍ ترتبط فيما بينها من حيث التشابه في الدلالة. حيث إن "**الأمراء**" و "**الملوك**" يمثلون مكانة سامية، بينما "**فقراء**" و"**صعاليك**" و"**أسراء**" و"**مماليك**"

---

[١] جلال الدين الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، شرح: عبد الرحمن برقوقي، ط: ١، دار الفكر العربي، ١٩٠٤، ص: ٣٥٤

[٢] د.عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، ص: ٥٦٤

[٣] د.عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني ـ البيان ـ البديع، ص: ٥٩٧

[٤] ينظر: د.عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، ص: ٥٦٥

[٥] الثورة الهندية، ص: ٢٨

تمثل الانحدار إلى حالة الضعف والذل والقيد والعبودية، ويبرز التناقض الكبير بين الماضي والمستقبل بأسلوب قوي، مما يعطي الجملة انسجاما وترابطا في المعنى والبلاغة.

ونجد في قوله: **"همَّوا بأن يُنَصِّروا كلا مِن قُطَّانِها وسُكّانِها، وَرُؤُوسِها وَوُجوهِها وَأعْيانها ..."**[1] الربط في المعنى بين ألفاظ مترادفة، مثل: **"قطّانها"** و **"سكّانها"** كلاهما يشير إلى أشخاصٍ مقيمي الهند. وكذلك نجد الربط بين الكلمات **"رؤسها"** و **"وُجوهها"** و **"أعيانها"**، ما تشير إلى القادة والشخصيات البارزة والمرموقة. فكلام المؤلف يوحي إلى هدف النصارى الذين أرادوا أن يجمعوا جميع سكان الهند على دين النصارى دون تمييز بين الأشخاص العاديين والشخصيات المهمة والمميزة. واستخدام الترادف هنا يهدف إلى التأكيد على الشمولية.

ويعبر عن حالة جيش ضعيف وغير مستعد للقتال من خلال توظيف الأسلوب البلاغي "مراعاة النظير" في قوله: **"حتى أُقْعِدَتْ ليلةً ثُلَّةٌ مِنَ الجَيش قد تعَوَّدوا بالدَّعَة والكَسْلِ، وَجَبَلوا على الجُبْنِ والفَشَلِ ..."**[2] حيث يقدم الصفات السلبية للجيش، ويناسب بين كلمات **"الدَّعة"** و **"الكسل"**، ما توحي إلى التراخي وعدم الرغبة في بذل الجهد، وبين **"الجُبْن"** و **"الفشل"**، ما يشير إلى الضعف والتردد في مواجهة التحديات. وكذلك يصف الوزير الخائن في قوله: **"كان يختلقه من الكذب والبهتان".**[3] ف **"الكذب" و "البهتان"** كلمتان متقاربتا المعنى، لأن البهتان نوع من الكذب. استخدام الكلمتين معا يعزز من الفكرة ويضخمها، مما يوحي بأن الشخص ليس فقط يكذب، بل يزيد على ذلك ويختلق البهتان أيضا.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٠

[2] المصدر السابق، ص: ٤٠

[3] المصدر السابق، ص: ٤٤

ومن مراعاة النظير نرى حسن النسق في قوله: "**نَصَبُوا مَجَانق كَثِيرة لِهَدِّ سُوَرٍ يَلِيه، وهَدَم بُرْجٍ كان في حواليه، وبابٍ يُحَاذيه**".[1] حيث يصوّر مشهد الهجوم على التحصينات القويّة باستخدام الكلمات ذات دلالة متقاربة مثل "**سور**" و "**برج**" و "**باب**"، وإن كل منها يمثل جزءًا من التحصينات التي تعرض للهجوم. هذا التجاور بين الألفاظ المتشابهة في السياق يضفي على النص تماسكا ويؤكد على شمولية الهجوم على التحصينات.

ومن ذلك أيضا، قوله: "**فنَهَبُوا أوّلا ما كان مع المأحوذِين من النَقْدَين الذهب واللُّجَين، بل الجلابيب والسرابيل والمآزر والسراويل**".[2] يخبر المؤلف أحوال هؤلاء الذين كانوا يهربون من خوف النصارى تاركين أماكنهم وأموالهم، لأن النصارى كانوا يهاجمونهم في الطريق ويأخذون كل ما يجدونه معهم. ويعبر بكلمات متشابهة في المعنى، مثل "**الذهب**" و "**اللجين**" من المعادن الثمينة، و"الجلابيب" و "السرابيل" و "المآزر" و "السراويل" من الأشياء البسيطة مرتبطة بالحاجات اليومية. أي أخذوا كل ما كان عندهم بالقوة.

ويقدم حسن المناسبة في قوله: "**وكثير منهنَّ هلكن عطشا وجوعا، وكثير منهنَّ غِبْنَ وَلَم يَسْتطِعن رجوعا، ولم يُرَ لَهُنَّ أَثر، ولم يُسْمَع عنهُنَّ خَبَر**".[3] مراعاة النظير في هذه العبارة تخدم في توضيح شدة المعاناة التي تعرضت لها النساء، حيث يجمع المؤلف بين حالتين من أشد حالات الاحتياج، فاستخدام كلمتي "**عطشًا**" و"**جوعًا**" تشيران إلى أشد حالات الاحتياج البشري، أي: العطش إلى الماء والجوع إلى الطعام. الجمع بين هاتين الكلمتين يبرز حجم المعاناة الشديدة التي تعرضت لها هؤلاء النساء، ويعطي تأثيرًا أعمق على القارئ. ونلاحظ مراعاة النظير واضحة بين صفتي "**لم ير**" و "**لم يسمع**" حيث يرتبط كل منهما بحاسة من الحواس

[1] الثورة الهندية، ص: ٤٠

[2] المصدر السابق، ص: ٥٠

[3] المصدر السابق، ص: ٥٢

الأساسية، البصر والسمع. استخدام هاتين العبارتين معًا يعبر عن انعدام وجود أي دليل مادي أو صوتي يدل على النساء المختفيات، مما يعمّق الإحساس بالضياع التام.

وفي قوله: **"ولم يجدوا هناك مزاحما ومقاوما، ولا مدافعا وممانعا، ولا معاوقا ومنازعا"**.[1] يشير إلى لحظة في المعركة حين خادع النصارى المسلمين، أي وجَّهوا فريقا من جنودهم من باب آخر من القلعة وقاموا بهجوم تضليلي، وهكذا هم دخلوا في المدينة من باب آخر. نلاحظ التناسب والتلاؤم في جمع بين ألفاظ متقاربة في المعنى؛ أي أولا يزاحم ويقوم للمقاومة، ثانيا يدفع ويمنع بالقوة، ثم يعاوق وينازع نهائيا. وهذا التنسيق بين الألفاظ المتشابهة يعطي الجملة انسجاما وتناسقا. ويعزز من دقة المعنى ويؤكد على الفكرة، وهي عدم وجود أي نوع من المقاومة أو المعارضة في هذا الموقف.

وقوله: **"وطال بين الفريقين الترامي والتناصُل، وامْتَدَّ بينهما التَقَابل والتقاتل"**.[2] يستوظف المؤلف كلمتين متقاربتين في المعنى، أي **"الترامي"** و**"التناصل"** ف"الترامي" يدل على رمي السهام والرماح عن بُعد، بينما "التناصل" يعبر عن الرماح. هذا التقارب في المعنى يصوّر حالة النزاع بين الطرفين التي لا تتوقف، ويجعل العداوة تبدو مترامية الأطراف ومتزايدة. وكذلك يجمع بين كلمتين متقاربتين ك**"التقابل"** و**"التقاتل"** ما ترتبطان بالمواجهة المباشرة بين الطرفين. حيث أن "التقابل" يشير إلى المواجهة أو الوقوف وجهًا لوجه، و"التقاتل" يدل على تطور هذه المواجهة إلى قتال وصراع فعلي. فالمراعاة النظير في هذه العبارة تخدم في تقديم صورة متكاملة عن طبيعة الصراع بين الفريقين، الذي يبدأ برمي بعضهم بعضًا عن بُعد، ثم ويتطور إلى مواجهة مباشرة. هذا التدرج في المعنى يعكس تصاعد النزاع وتحوله من مجرد عداوة إلى مواجهة دامية، مما يجعل

[1] الثورة الهندية، ، ص: ٤٢

[2] المصدر السابق، ص: ٥٨

العبارة أكثر تعبيرًا عن طبيعة العداء المتصاعد.

يكرر المؤلف الخيرآبادي في الأمثلة التالية ألفاظًا متقاربة المعنى في سرد الأحداث المتصلة بعضها ببعضٍ؛ لإضفاء التناسق الفني. ويعتمد على المحسنات البديعية أخرى كالتكرار، والجناس، مما يمنح نصوصه إيقاعًا موسيقيًا جذابًا، كما يوظف التصوير الدقيق، والتضاد لنقل مشاهد المعركة والدمار والظلم بأسلوب مؤثر يجذب القارئ ويجعله يشعر بعمق الأحداث. وأسلوبه ليس مجرد سرد الأحداث، بل هو صرخة ثورية ضد الاستعمار والظلم، يحرّك المشاعر ويُلهِّب الحماسة، مما يجعله أحد أبرز الأدباء الذين استخدموا البلاغة بصياغة محكمة كسلاح في الكفاح الفكري والسياسي.

المبحث الرابع

التدبيج

المبحث الرابع: التدبيج

من كلمة الدَّبْج: أي النَّقْش والتزيين، فارسي المعرب، ودَبَجَ الأرضَ المطرُ يدبجها دبجًا: روَّضها، والديباج ضرب من الثياب وهو نسيج من الحرير الأصيل، ملوّن ألوانًا مختلفة.[1]

وفي اصطلاح البلاغيين هو: "أن يذكر الشَّاعر أو الناثر ألوانا يقصد الكناية بها أو التورية بذكرها عن أشياء من مدح أو وصف أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون، أو لبيان فائدة الوصف بها".[2]

ووظيفة هذا الفن هي تحسين الكلام وتزيينه، وقد يلاحظ هناك علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، حيث يدل الأول على النقش والتزيين القائم على الأصباغ والألوان، وأيضا له مدلولات أخرى التي يرمز إليها الشاعر أو الناثر باستخدام تلك الألوان.

وقد يستوظف المؤلف هذا الفن في كتابه لما يخبر عن عدوه هو الذي قيده بقوله: **"وأحْمَر بَأْس، في أَسْرِ أبيضَ أسْودِ الكَبدِ أَزرقَ عَبّاسٍ، أصْهَبَ الشَعرِ متلوّن لبّاس"**[3] هنا يرمز المؤلف بلون "**أحمر**" إلى عذاب شديد، وإلى الصعوبات والمصائب التي يعاني بها في قيد الإنجليز، واللون "**الأبيض**" يدل إلى بياض وجوه الإنجليز وما يقابله "**الأسود**" يكني إلى الحِقد والعداوة والقساوة. والأبيض يدل على الشيء الواضح والظاهر غير الكلمة الأسود هو الذي يدل على الخفاء. فاللون الأبيض يشير إلى جمالهم الظاهري أما الأسود يدل إلى أعمالهم المظلمة والسيئة.

ومن الواضح أن الألوان قد تأتي بدلالات متعددة ورموز مختلفة مع اختلاف الألوان وتأثيراتها. وقد تأتي بأسماء أخرى غير أسمائها الصريحة. وعمل المتلقي اكتشاف المعاني التي يوحي إليه

---

[1] مادة (د ب ج)، لسان العرب، ٢٧٨/٣

[2] ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص: ٥٣٢

[3] الثورة الهندية، ص: ٢٨

النص. ونرى هذا في النص يرتبط المتلقي به ويسير في داخله نوع من الإثارة والسرور. كما نجد للون أزرق دلالات مختلفة. فاللون الأزرق يدل على صفاء الماء، وقد يصف العرب الأعاجم باللون الأزرق، ويصفون بهذا اللون ما يسوؤهم. واللون الأزرق عندهم كناية العدو أيضا؛ لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم، وهم زرق العيون، كما نرى في أمثال العرب "أزرق العين، أصهب السبال، أسود الكبد".[1] وله دلالات أخرى متنوعة في كلام العرب.

فـ"**الأزرق**" هنا يوحي إلى شديد العَداوة و"**عبّاس**" إلى كثير العَبوس، وبقوله "**أصْهَب الشَعر**" يحدد العدو لأنّ الصهبة من ألوانهم. و"**متلون لبّاس**" يشير إلى أحوالهم المتغيرة الذين يلتفتون إلى الناس عندما يرون الفائدة ويغفلون بمجرد انتهاء الغرض. لأن الكلمة متلون يدل على ذو لون متغير باختلاف زاوية النظر إليه، وكلمة لبّاس يدل إلى كثير اللِباس. فالتنويع في الألوان هنا لا يستخدم فقط للجمال، بل للتعبير عن صفات الشخص وأحواله المتضادةز

وقوله: "**في مضائق سُجون، هي مجامع فتن جون**".[2] يعبر أن السجن هو مكان ضيق ومظلم يجتمع فيه كل أنواع الفتن والمشكلات. واستخدام كلمة "**جون**" توحي إلى الظلام والسواد، وهذا يضفي صورة عن السجن كمكان مظلم وكئيب. يوظف الكاتب هنا اللون الأسود كرمز لظلم والظلمة المحيطة بالسجن، مما يعزز الأثر النفسي ويعبر عن ظروف قاسية في السجن.

وقد أصبحت كلمة البيضان كناية الإنجليز في بلاد الهند، وتناولها المؤلف في أماكن متعددة، كما يقول: "**ثم أتى جند من البيضان**"[3] والمراد منها ذو البشرة البيضاء؛ لأن الإنجليز كانوا

---

[1] أبو قاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج: ٢، ط: ٢، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٩٨٧م، ص: ٣٩٥

[2] الثورة الهندية، ص: ٢٦

[3] المصدر السابق، ص: ٥٢

أبيض الوجه فاشتهروا كناية بهذا الاسم في الهند.

وفي هذه العبارة يستوظف المؤلف كلمة **"سواد"** كالتورية، حيث يقول: **"والنصارى بعد استيلائهم على البلد وسَوادِه بسَوادِ بيضانهم"**[1] [2] فالمراد من **"سواد"** الأول البلد وما حوله من القرى والريف، أما **"سواد"** الثاني فهو **تدبيج التورية**، وله معنيان، فالمعنى القريب ضد الأبيض كأنَّ المؤلف يقول بأسود الكبد مع أبيض البشرة، والبعيد هو سواد الجيش أي ما يشتمل من المضارب والآلات والأدوات، وهذا هو المقصود هنا، وكذلك كلمة بيضان يدل على المعنى البعيد وهو سيوف، أي النصارى غلبوا على البلد بكثرة سيوفهم.

في هذه الأمثلة، يستخدم المؤلف التدبيج بمهارة عالية، حيث لم يكن مجرد زخرفة لغوية، بل وسيلة لتوصيل معانٍ سياسية واجتماعية قوية. من خلال التناقض بين الألوان، والسخرية، والإيحاءات الرمزية يضيف عمقا للمعاني، ويوصل الأفكار بطريقة غير مباشرة، مما ساعده على تمرير أفكاره بذكاء بلاغي راقٍ. ونلاحظ أن لغته قوية وغنية بالمفردات والتراكيب رغم أنه كان في المنفى غير مسكون، خال من حاجيات العيش، لا وسائل راحة، لا كتب وأوراق، لا معاجم ولا مراجع ومع ذلك لغته قوية رصينة بلاغية، فكلامه تعبير عن عبقرية عقلية ولسانية.

---

[1] سَواده: ضاحيته ونواحيه (س و د)، سَواد: مراد منه سواد العسكر، أي ما يشتمل عليه من المضارب والآلات والدوابّ وغيرها. (س و د)، لسان العرب، ٤٢٠/٦

[2] الثورة الهندية، ص: ٤٦

المبحث الخامس

الإبداع

المبحث الخامس: الإبداع

في اللغة من فعل أبْدَعَ بمعنى الإتيان بشيء لا نظير له، والبديعُ: المحْدَثُ العَجيب. [1]

وفي اصطلاح البلاغيين "هو أن يشتمل الكلام على عدّة ضروب من البديع". [2]

وقد عرّفه ابن أبي الإصبع: "هو أن تكون مفردات كلمات البيت من الشّعر، أو الفصل من النَّثر، أو الجملة المفيدة، متضمّنة بديعا بحيث تأتي في البيت الواحد والقرينة الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان فصاعدا من البديع ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع". [3]

وقد نجد في "الثورة الهندية" أن المؤلف يستوظف عدة أغراض بلاغية، حيث يقول: **"غذاؤه أحرُّ من طُعُومِ العَلاقِم، ومَاؤه أضَرُّ مِن سُمُومِ الأراقم. سماؤه غَمَام يمطُر الغُمُوم، وسَحابه الهَمُوم يَفِيْضُ الهُمُوم. وأرضه كالجُدْرِي والحَصْبَة حَصباء، وريحه من النَكْبَةُ نكباء".** [4] [5] كما نرى في هذه العبارة مجموعة من الصور البلاغية التي تعتمد على التشبية والمبالغة والاستعارة والكناية والجناس التام والسجع والمراعاة النظير والترادف. في هذه العبارة المؤلف يركز على مقومات الحياة كالماء والغذاء والمطر، والريح التي من أهم عناصر للعيش يصفها كلها بصفات

---

[1] مادة:(ب د ع)، لسان العرب، ٣٤٢/١

[2] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٨٢/٢

[3] ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص: ٦١١

[4] الثورة الهندية، ص: ٧٦

[5] العلاقم: شجر الحنظَل، (ع ل ق)، لسان العرب، ٣٦٣/٩، الأراقم: جمع أرقم، وهو من أخبث الحيّات، (ر ق م)، ٢٩١/٥، هَمُوم: سحابة تصب مطرا غزيرا، (هـ م م)، لسان العرب، ١٣٩/١٥، هُمُوم: جمع هَمّ، أي الحزن، (هـ م م)، لسان العرب، ١٣٨/١٥، الجُدَرِي: هو الحب الذي يظهر في جسد الصبي لظهورها من بطن الأرض، ويظهر من باطن الجلد، (ج د ر)، لسان العرب، ٢٠٥/٢، الحصبة: البَثر الذي يخرج بالبدن ويظهر في الجِلد، (ح ص ب)، لسان العرب، ١٩٧/٣

سلبية، كما يشبه الغذاء في مرارته وحرارته بالنبات العلقم المعروف بمرارته الشديدة لبيان مدى قسوة وصعوبة هذا الغذاء. وكذلك يشبه الماء بسَمِّ الأفاعي في ضرره. الماء الذي يُفترض أن يكون أساس الحياة أصبح هنا رمزا للموت والضرر، مما يضفي صورة مظلمة وخطيرة على المكان.

وفي قوله **"سماؤه غَمَام يمطُر الغُمُوم"** نجد تشبيهًا بليغًا في **"سماؤه غمام"** أي الغمام أصبحت سماء هذه الجزيرة لأنها لا تتكشّف وتزيد السجناء حزنًا، كما نجد في **"يمطر الغموم"** استعارة مكنية حيث يشبه الأحزان والغموم بالمطر لكثرتها ويقول أصبحت سماء هذه الجزيرة غمامًا التي تمطر الأحزان. والغمام يأتي عادة بالخير والمطر، لكن هنا يسبب الأحزان، ما يشير أن المكان نفسه كئيب لدرجة أن حتى السماء لا تقدم خيرا، بل تأتي بالحزن والأسى. وكذلك في قوله **"وسَحابه الهَمُوم يَفِيْضُ الهُمُوم"** نجد أن الهَموم التي تنصب مطرًا غزيرًا تحمل الأحزان بدلا من المطر. وقوله **"يفيض الهُمُوم"** كناية عن كثرة الأحزان في المكان، ما يوحي مدى التشبع بالحزن لدرجة الفيض، وكأن الهَموم لا يمكن احتواؤها.

وتشبه الأرض بجلد الشخص المصاب بالحصبة أو الجدري، بما فيها من نتوءات وتعرجات يوحي إلى قسوة الأرض وصعوبتها، والتشبيه الريح بالعنصر الذي يحمل الشر والمصائب، مما يعطي صورة المكان مليء بالشدائد.

ويشير التكرار في استخدام التشبيهات بوصف "الغذاء، والماء، والسماء، والسحاب" إلى شمولية السوء في هذا المكان، بحيث يشمل كل عنصر من عناصر البيئة الطبيعية. فهو يرسخ أن المعاناة ليست مقتصرة على جانب واحد، بل منتشرة في كل الشيء.

خلاصة القول أن العبارة تحمل الأغراض البلاغية متنوعة لتصوير حالة من المعاناة الشديدة والمتواصلة التي أصابت المؤلف أثناء نفيه إلى أندامان. في ذلك المكان الأشياء الأساسية كالماء

والغذاء والسماء والسحاب والهواء التي تعتبر مصادر للراحة والحياة، لكنها هنا أصبحت مصادر الضرر والهموم. كل هذا يعكس مدى صعوبة الحياة في هذا المكان ويجعله مستحيلة.

يعدّ الجناس والطباق من أرقى الأساليب البلاغية التي يمكن للكاتب توظيفها لإضفاء جمال فني وتعبيري على النص. وقد يظهر إبداع الكاتب في الجناس من خلال قدرته على استخدام كلمات متشابهة في النطق أو التركيب، لكنها مختلفة في المعنى، مما يثري النص ويجذب انتباه القارئ. أما الطباق يبين التناقض بين المفردات، مما يتيح للقارئ فهم المعنى بصورة أعمق. وعندما يجتمع الجناس مع الطباق، تتجلى براعة الكاتب في خلق توازن جمالي، حيث يتفاعل المعنى مع الشكل ليُبرز الفكرة بأوضح صورة.

والإبداع في استخدام الجناس والطباق من أبرز الأدوات البلاغية التي استخدم المؤلف أثناء تجسيد الأفكار والمشاعر بأسلوب فني رفيع. كما نرى في قوله: **"لاه مع لداته، لاه عن عداته"**.[1] نجد هنا الجناس التام مع الطباق بين كلمتي "لاه"، حيث تدل الأولى على "الانشغال والاهتمام"، بينما الثانية على "الغفلة"، ونجد الجناس اللاحق مع الطباق بين كلمتي "لداته" و"عداته"، ما يشير إلى الأصدقاء والأعداء، هذه العبارة تصف حالة ابن "حضرت محل"[2]، الذي كان منشغلا بالاستمتاع واللهو مع أقرانه، غافلا عن أعدائه ومكائدهم. وكان غير قادرٍ في إدارة شؤون الملك.

[1] الثورة الهندية، ص: ٥٤

[2] اسمه رمضان علي، المعروف بـ "برجيس قدر"، كان ابن واجد علي شاه وكان عمره إحدى عشرة سنة عندما عين حاكما على "لكناو". (د. قمر النساء، فضل الحق الخيرآبادي مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، ص: ٢٩٠)

وفي قوله: **"لا علاج لسقيم، من يُداوي فيه يَدْوى"**[1] نرى الطباق مع الجناس الناقص بين كلمتي "يداوي" و"يدوى". وكذلك في قوله:**"الأقربين من سريره وسريرته"**[2] نجد نفس النوع من الجناس مع الطباق الخفي، ما يجعل المعنى أكثر عمقا، ويجذب انتباه المتلقي بهذا الأسلوب الجميل. ونلاحظ أن المؤلف قد تناول هذا الأسلوب في كتابه "الثورة الهندية" مرّات عديدة ليجعل النص غنيّا ومعبرا بامتياز.

[1] الثورة الهندية، ص: ٧٨

[2] المصدر السابق، ص: ٣٤

الفصل الثاني

المحسنات اللفظية في كتاب "الثورة الهندية"

المبحث الأول

السجع

المبحث الأول: السَّجْع

السجع لغة: الكلام المقَفَّي، والجمع أسجاع، وسجع الحَمامُ: هَدَلَ على جهة واحدة، تقول العرب: سجعت الحمامة: إذا دعت وطربت في صوتها.[1]

وفي الاصطلاح البلاغي عرفّه القزويني: "هو تواطُؤُ الفاصلتين من النثر على حرف واحد. وهذا معنى قول السكاكي: الإسجاع في النثر كالقوافي في الشعر".[2]

وقيل: "هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر". والمراد من الفاصلة آخر الكلمة من جملة مقارنة لجملة أخرى. وتسمّى كل من هاتين الجملتين "قرينة" لمقارنتها الأخرى.[3]

والسجع ليس له صورة واحدة، وإنما هو يأتي في النثر باعتبار الوزن والتقفية بين طرفيه إلى ثلاثة أقسام: المطَرَّف، والترصِيْع، والمتوازي، وباعتبار الطول والقصر إلى ثلاثة أنواع، هي: القصير، والمتوَسِّط، والطويل.[4] قد وجدته عند المؤلف بجميع أنواعه، وفيما يلي بعض النماذج من هذا التأليف:

السَّجْع المرَصَّع: "هو ما اتفقت فيه ألفاظ القرينتين أو أكثرها في الوزن والتقْفِية".[5] ويتجلى في هذا النوع من السجع التناغم الصوتي الذي تتفق فيه كلمات الجملة الأولى أو أكثرها مع كلمات الجمة الثانية في الوزن والتقفية، حيث نرى في قول المؤلف:"**بل كلَّما هَجَمُوا صُدُّوا، ومَهْما قَدَمُوا رُدُّوا. كان المجاهدون الغُزاة الحُماة الكُماة يدافِعُونهم أشَدَّ دِفاع، ويُقَارِعُونهم**

---

[1] (س ج ع)، لسان العرب، ١٩٤/٦ ـ ١٩٥

[2] الخطيب القزويني، الإيضاح، ص: ٢٩٦

[3] د.عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، ص: ٦٤٥ ـ ٦٤٦

[4] الخطيب القزويني، المصدر السابق، ص: ٢٩٦ ـ ٢٩٩

[5] د.عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، ص: ٦٤٦

أَشَدَّ قِراع".[1] يشير إلى شجاعة المجاهدين وقوتهم في مواجهة الأعداء، حيث أنهم دائما مستعدون للرد والتصدي مهما حاول أعداء الهجوم أو التقدم. وقد نلاحظ بين الجمل "كلَّما هَجَمُوا صُدُّوا، ومَهْما قَدَمُوا رُدُّوا" و "يدافِعُونهم أشَدَّ دِفاع، ويُقَارِعُونهم أَشَدَّ قِراع" اتفقت في الوزن والتقفيّة، ما يؤثر التأثير الإيجابي على المتلقي لأن من طباع النفس السليمة الميل إلى كل ما هو جميل متناسق.

وفي قوله: "**فلَمْ يَأتَمِروا بِما أشرتُ، ولَمْ يأتَمِروا بما أمرتُ**".[2] نجد نفس المستوى الفني من التوازن بل أعلاه، حيث نرى نهاية الكلمتين متطابقة في الوزن والتقفية، مما يخلق تناغما بين الجملتين، وكذلك تكرار الفعل في البداية يشكل تناسقا ويعزز السجع، حيث تأتي الجمل متوازية في التركيب وتتشابه في بدايتها ونهايتها.

وفي قوله: "**ولم يلتَحِموا في مَعْرَكَةٍ، ولَم يَقتَحِموا في مَهْلَكَةٍ**".[3] يعبر عن حالة من اللامبالاة والفشل للجيش الإسلامي بالأسلوب البلاغي ما يحمل معانٍ بلاغية عميقة ويجذب انتباه المتلقي. لأن الموسيقى الناتجة عن توافق الفواصل مجدِّدة للنشاط السامع ومعينة له على التدبر. كما نجد التوازن في التركيب بين جملتي "ولم يلتَحِموا في مَعْرَكَةٍ، ولَم يَقْتَحِموا في مَهْلَكَةٍ" يوضح الفكرة بشكل أقوى. والسجع هنا لا يقتصر على جانب الإيقاع الصوتي فحسب، بل يتطرق الجانب الدلالي أيضا، ويوصل رسالة قوية عن التردد في مواجهة التحديات مما يجعل الجملة أكثر قوة وإيحاء. ونجد في موضع آخر نفس النوع من التوازن في قوله:"**فصالتِ النصارى وبَيْضَانُهم، وأجْرَاؤُهم، وأعوانُهم صولاتٍ شديدةً متَتَابعةً متَواليةً. وحملوا حملاتٍ سَدِيْدَةً**

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٤٠

[2] المصدر السابق، ص: ٤٦

[3] المصدر السابق، ص: ٥٨

متَشَافِعَةً متَتَالِيةً".[1] حيث يتكرر النمط الصوتي بين كلمات صولات شديدة متتابعة متوإلة، وبين حملات سديدة متشافعة متتإلة. وهذا التوافق الصوتي يخلق إيقاعا موسيقيا في العبارة، ومن ناحية دلإلية يعكس قوة الصراع في استخدام التكرار ما يؤثر أكبر تأثيرا على المتلقي.

وإن الموسيقى الناتجة عن توافق الفواصل في السجع ينشط المتلقي ويجذب انتباهه، كما نجد في العبارة : "**فإن رَمقني صعوب، ولحقَني خُطُوب، ومَحَقَني كُرُوب**..." [2] التوافق الصوتي في الكمات "صعوب"، و"خطوب"، و"كروب"، التي تتشابه في البناء الصوتي من حيث الوزن والقافية، ونتيجة لهذا يخلق إيقاعا موسيقيا متناسقا. ولكن السجع هنا ليس مجرد توافق صوتي؛ بل هو جزء من سرد مترابط للأحداث. يبدأ الوضع بـ"رمقني صعوب" وهو مجرد ملاحظة الصعوبات، ثم المعنى يتطور من مراقبة الصعوبات إلى ملاحقة المصائب بقوله"لحقني خطوب" ثم إلى الفناء والهلاك بواسطة الكروب. هذا التطور المنطقي في الأحداث يذيد من قوة السجع الدلالى.

ونجد في موضع آخر يتجلى السجع مع التوارن والتضاد، حيث قوله: "**فهو الذي ينجيني عمّا يُشْجِيني. ويُطْلِقُني عمّا يُقْلِقُني. ويشكيني عمّا يُشْكِيني. ويبرئني عمّا يُبْرِيني**".[3] السجع هنا يتمثل في تشابه نهايات الكلمات في الجمل المتتالية وبالتوازن الكلمات ما قبل الفواصل. هذا التوافق والتوازن يخلق الإيقاع ويسهم في ترتيب الأفكار بشكل منظم، مما يجعل الجمل مترابطة بطريقة سلسة، ويجعلها سهل الاستيعاب، ويعطيها انسيابية في القراءة. وكل الأفعال في الجملة مثل "ينجيني" و "يُشْجِيني"، و"يُطلقني" و"يقلقني"، و"يشكيني" و"يشكيني"، و"يبرئني" و"يبريني"، تعبر عن موقفين متناقضين، حيث الأول يعبر عن الخلاص (الفعل الإيجابي) والثاني

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٥٨

[2] المصدر السابق، ص: ٨٢

[3] المصدر السابق، ص: ٨٤

عن المعاناة (الفعل السلبي)، وكلاها جاءت على وزن "يُفْعِلْني"، فالسجع هنا ليس مجرد زينة لفظية، بل يؤدي دورا بلاغيا هاما في إبراز أهمية الدور الذي يلعبه المنقذ في تلخيص المؤلف بتوضيح العلاقة بين الفعل السلبي والفعل الإيجابي بشكل ملموس. والتكرار الصوتي يركز على الفعل ويؤكد الفكرة الرئيسية، وهي فكرة الخلاص من الهموم والمصاعب. ويجعل التأثير العاطفي للنص أقوى. ويبين قدرة المؤلف على توظيف اللغة في الجمع بين الجمال اللفظي والقوة الدلالية.

ونلاحظ في قوله: "**يا أَرْحَمَ الراحِمين، يا أَحْكَمَ الحاكِمين...**"[1] السجع أكثر جاذبية على السمع؛ لأنه هنا يعطي العبارة إيقاعا موسيقيا جميلا يجذب الأذن، ويجعلها سهلة الترديد والحفظ. ويبرز النص مع التناغم الصوتي التوازن الدلالي، حيث تشير "أرحم الراحمين" إلى سعة رحمة الله، بينما "أحكم الحاكمين" تشير إلى سلطانه وحكمه واختياره وقدرته. هذا التوازن بين الصفات الإلهية يعزز المعنى ويبرز كمال الله في صفاته. ونجد التكرار "يا" يعكس الشغف والرغبة في الحصول على حكم الرحمة، مما يزيد من تأثير الدعاء ويجعل المتلقي يشعر بالعمق العاطفي.

نلاحظ في الأمثلة المذكورة يستخدم المؤلف السجع المرصّع لجعل النص أكثر إيقاعا وتناغما، ولا يقتصر على التناغم الصوتي فقط، بل يستغل أساليب بلاغية أخرى لتعميق المعنى وزيادة تأثير النص.

السَّجْع المتوازي: السجع المتوازي ضد الترصيع. "هو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا وتقفية مع اختلاف ما عداهما:

١. في الوزن والتقفية.

٢. في الوزن فقط.

[1] الثورة الهندية، ص: ٨٤

٣. في التقفية فقط".[١]

أي هو فقط اتفاق الكمات الأخيرة من الجمل في الوزن والتقفية، مع اختلاف ما قبلها في الأمرين، أو في أحدها. مثل ما يلي:

قول المؤلف: "**وجَمٌّ غَفِير من الأُجَراء الأولى لم يَشهَدوا حربًا، ولم يُشاهِدوا طَعْنا ولا ضَرْبًا، ولم يَعْرِفوا مَصْلِحةً، ولم يُزاولوا أسْلِحَةً**".[٢] نجد في العبارة انسجام صوتي بين الفواصل مثل "حربا" و "ضربا" وبين "مصلحة" و "أسلحة"، أما الكمات ما قبل الفواصل يختلف في الوزن والتقفية. والسجع لا يقف على التكرار الصوتي، بل يخدم المعنى أيضا. العبارات المتوازية التي تحمل نفس البنية تدل على قلة خبرة الجيش الإسلامي عن الحرب والضرب. وهناك تنسيق واضح بين الأجزاء الجملة. كل العبارة تكمل الأخرى، مما يساعد في خلق النص القوي وذو المعنى العميق.

وفي قوله:"**فأخَذوا يَقْتُلون فَرِيقَهم، ويَقْطَعُونَ طَرِيْقَهم، ويَغْتالُون طَرْخانَهم وبِطْرِيقَهم**".[٣] [٤] يوظف السجع بشكل فعال لخلق الانسجام الصوتي، ويستخدم الكلمات المتوازية مع اختلاف الوزن والتقفية لتقديم الصورة متكاملة وشديدة التأثير عن العنف والفوضى؛ لأن الأفعال المستخدمة "يقتلون" و "يقطعون" و "يغتالون" تخلق صورا ذهنية قوية، حيث يصور العنف والتخريب والدمار بوضوح. والجمع بين "الفريق" و"الطرخان" و "البِطريق" يبرز حجم التدمير،

---

[١] د.عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، ص: ٦٤٦

[٢] الثورة الهندية، ص: ٥٨

[٣] المصدر السابق، ص: ٣٢

[٤] طرخان: جمعه طراخنة، بمعنى رئيس، (ط ر خ)، لسان العرب، ١٣٨/٨، بِطريق: كلمة معرَّبة، بمعنى القائد عند أهل الشام والروم، (ب ط ر ق)، ٤٣٠/١

أي لا يتم استهداف الأفراد العاديين فقط، بل يشمل الشخصيات القيادية أيضا. نلاحظ أن تقديم الكلام بالصور البلاغية يبين موقف المؤلف أكثر وضوحا وتأثيرا.

وفي هذه العبارة: **"وطَالَ بين الفَرِيقَيْنِ التُرامي والتناصُل، وامتَدَّ بينَهما التَقابل والتَقَاتل".**[1] نجد السجع المتوازي مقويا للمعنى، ومؤثرا في النفس بإقاعه. حيث يتجلى السجع في التوافق الصوتي بين كلمتي "التناصل" و "التقاتل"، وتعتمد العبارة على التوازي البلاغي في البنية. وهذا التوازي يجعل العبارة متماسكة وقوية، ويعبر عن شدة المواجهة بين الفريقين. حيث يبدأ النص بوصف الترامي والتناصل، أي تبادل الهجمات على مسافة، ثم يتطور الأمر إلى التقابل والتقاتل المباشر.

ويتميز قوله: **"غذاؤه أحرُّ من طُعُومِ العَلاقِم، ومَاؤه أضَرُّ مِن سُمُومِ الأراقم. سماؤه غَمَام يمطُر الغُمُوم، وسَحابه الهَمُوم يَفِيْضُ الهُمُوم. وأرضه كالجُدْرِي والحَصْبَة حَصباء، وريحه من النَكْبَةُ نكباء".**[2] في تقديم الفواصل المسجوعة لتحقيق التوافق الصوتي والتوازن في ترتيب المعاني. نجد بين جملتي الأولى السجع المرصّع أما في بقية الجمل نرى السجع المتوازي. حيث نرى التوافق الصوتي بين كلمتي "الغموم" و "الهموم"، وبين "حصباء" و "نكباء"، مما يعطي النص إيقاعا موسيقيا متناغما ويسهل ترديده. واستخدام أساليب بلاغية أخرى كالتشبيه والاستعارة ما توضح مدى قسوة الظروف في جزيرة أندامان من خلال مقارنة الطعام بالعلاقم والماء بالسم الذي تبثه الأفاعي، هذا التشبيه يبرز شدة المعاناة في الأشياء التي يختاجها الإنسان للبقاء. السماء والسحابة عادة يكون رمز للخير والرطوبة ولكن هنا تدل على مصدر الهموم والمصائب. والتكرار في قوله "يمطر الغموم" و "يفيض الهموم" يُسهم في توضيح أن المصائب ليست مجرد لحظة عابرة، بل هي مستمرة وكثيفة. وتشبه الأرض بالجدري والحصبة يعكس مدى بشاعتها

[1] الثورة الهندية، ص: ٥٨

[2] المصدر السابق، ص: ٧٦

وامتلائها بالبؤس، حيث إنها تنشر الأمراض التي تُصيب الجلد. يظهر هذا التشبيه مدى تضرر الأرض مما يجعلها مكانا لا يطاق. ويتم تشبيه الرياح بالكوارث والنكبات، في إشارة إلى أن الهواء مليء بالألم والمعاناة.

وفي موضع آخر يوضح معاناة الجزيرة بقوله: **"وشاعت فيه الأوباء، وعَمَّ فيه الجرب والقوباء. ما فيه التئام لكَلِيم، ولا سلامة لسليم، ولا علاج لسقيم".**[١] [٢] حيث يصور المكان أنه مليء بالوباء والجرب والقوباء، أي الأمراض الجلدية انتشرت بشكل شامل في هذا المكان. ولا يوجد أي فرد ينعم بالصحة أو السلامة كلهم مصابين، وليس لديهم أي وسيلة للتعافي أو الشفاء، ما يشير إلى الشمولية في المعاناة. ونجد الأسلوب البلاغي المستخدم السجع المتوازي بين كلمتي "الأوباء" و "القوباء"، وبين كلمات "لكليم" و "لسليم" و "لسقيم"، ما يعزز جمالية الكلام ويجعله أكثر إيقاعا، ويؤكد فكرة الشمولية في المعاناة. والطباق بين كلمتي "كليم" و "سليم" ما يوضح أنه لا يوجد أي شخص سالم في هذا الوضع، بل الجميع يعانون. فالمقارنة بين حالتين متضادتين يقدم معنى أكثر وضوحا.

والعبارة: **"ويرحم على عَوِيلي وبُكائِي، ويشفيني عن اشتكائي وشُكا ئِي".**[٣] [٤] تتخذ شكل الدعاء والتوسل إلى الله سبحانه وتعالى، حيث يناشد المؤلف الرحمة والشفاء. هذا الأسلوب تجعل العبارة محملة بالعاطفة والاعتماد الكامل على القدرة الإلهية للخلاص من الألم والمعاناة.

---

[١] الثورة الهندية، ص: ٧٨

[٢] القوباء: داء يظهر في الجسد يتقَشَّر منه الجلد ويسقط الشعر، (ق و ب)، لسان العرب،٣٣٨/١١

[٣] المصدر السابق، ص: ٨٤

[٤] عَوِيْل: رفع الصوت بالبكاء، (ع و ل)، لسان العرب، ٤٧٩/٩، اشتكاء: سوء الحال، (ش ك ا)، ١٨٠/٧، شُكاء: تقَشُّر الجلد، (ش ك ا)، ١٨١/٧

ونجد تكرار الأصوات في نهايات الجمل بين كلمات "عويلي وبكائي" و "اشتكائي" و "شكائي"، مما يخلق إيقاعا موسيقيا يجذب السمع ويعزز من المعاني.

ويعتبر السجع القصير من أفضل وأجود أنواع السجع، ويكون أكثر تأثيرا على السمع والقلب. ولكنه في نفس الوقت من أصعب أنواع في الصياغة؛ لأنه يكشف عن مدى براعة الكاتب في البلاغة وقدرته على الابتكار والإبداع. ونلاحظ أن المؤلف نجح في تقديم السجع القصير في قوله: **"فمن باكٍ يتَفَجَّع، وشاكٍ يتَوَجَّع، وحنَّانٍ يُرَجّع، ولهفانٍ يستَرجِع"**.[1] [2] قد نجد أن العبارة تعتمد على ألفاظ قليلة مع تحقيق التناغم بينها، مما تجعل العبارة أكثر تأثيرا على العواطف. ويعبر عن حالات متنوعة من مشاعر الألم والحزن والشوق والفقد.

وفي قوله: **"إنَّه سامعُ الدعاء، واسعُ العطاء، دافعُ البلاء"**.[3] نجد نفس النوع من السجع. حيث يبرز المؤلف صفات الله تعالى بشكل بلاغي مُتقِن حيث يجمع بين القرب والرحمة والتفاعل مع عباده. ويعبر عن صفات الله في سياق دعاء وتوسل، مما يُعزز من الإيمان والثقة في الله ويُجذب القارئ للانغماس في معاني الرحمة والعطاء. أي نجد السجع القصير المتوازي الذي تتوازي في التركيب وفي الإيقاع الصوتي، مما يجعل العبارة أكثر سلالة وتناغما، ويساهم في الإيقاع الموسيقى مع تقديم المعنى بأسلوب رائع.

السَّجْع المطَرَّف: "هو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير أو الطرف".[4] وقد وضع علماء البلاغة السجع المطرَّف في المرتبة الأخيرة من حيث الأضراب. وفي هذا النوع من السجع يتفق فواصل الجمل في التقفية دون الوزن، ومع اختلاف تلك الكلمات في الوزن

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٦٠

[2] لهفان: متحسِّر، (ل هـ ف)، لسان العرب، ٣٤٤/١٢

[3] المصدر السابق، ص: ٨٤

[4] د.عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، ص: ٦٤٦

إلا إنها لم تخل من جمال الإيقاع الناتج عن اتفاق القوافي، ما يطرب أذن المتلقي ويجذب انتباهه. ونجد السجع المطرَّف في الأمثلة التإلية:

حيث يقول: "**ومحبوسٍ في بأسٍ بَئيْسٍ وبُؤْسٍ، وُكِّل إلى ظَلومٍ عَبوسٍ، عَرَّاه عمَّا كان له من رُئيّ وزِيّ ومَلْبُوسٍ**".[١] [٢] قد نجد السجع المطرَّف في نهايات الكلمات كـ"بؤس" و "عبوس" و "ملبوس"، حيث تتوافق في التقفية مما يعطي إيقاعا موسقيا متناسقا. ويجعل المفاهيم أيضا مترابطة، ما يجعل النص متماسكا وجذابا، ويزيد من قوة الرسالة البلاغية.

وكذلك قوله: "**وأَخْلَفوا كُلَّ وَعْدٍ كلَّ إخْلافٍ. وأَتْلَفُوا النفوس والنفائس أيَّ إتْلافٍ. فقد جاوز العدد ماء مطلولة لا تحصى بمِئاتٍ وآلافٍ. وتَعَدّى الحدّ رقاب مغلولة من أشرافٍ وأَجْلافٍ**".[٣] يتضمن نفس نوع من السجع كما نلاحظ أن الكلمات تنتهي بنفس النغمة أو الحروف لكن تركيبية الكلمات تختلف في بدايتها. مما يخلق تناغما صوتيا يعزز النص. وهذا التناغم يعطي تأثيرا إيقاعيا ويضفي لمسة جمالية على الكلام. وقد استخدم المؤلف أساليب بلاغية أخرى كالتكرار ما يؤكد المعنى، والكناية والطباق لإبراز حجم الكارثة والظلم الذي وقع على الناس من قبل الإنجليز الغاشم. ويظهر أن القهر والظلم لم يفرق بين الناس، بل أصاب الجميع بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية.

ويصَوِّر مشْهَدَ المعرَكة بقوله: "**قد عَرَجُوا وَعَرَّجوا تِجاه المِصْرِ على جبلٍ شاهِقٍ، وحَصَنوه وحفَروا حولَه خَنَادق، ونَصَبُوا عليه مَجانِق. يرمونَ بِهَا نَحْوَ البَلَد والسُّور والمساكن والدور**

---

[١] الثورة الهندية، ص: ٢٦

[٢] بأس بَئِيْس: العذاب الشديد، (ب ء س)، لسان العرب، ٣٠١/١، بُؤس: الشدّة والفقر، (ب ء س)، ٣٠٢/١، الرُّئي: الثوب الفاخر، (ر ء ي)، ٨٩/٥

[٣] المصدر السابق، ص: ٧٤

بنادق، كأنها شهب وصواعق".[1] ما يبرز مشهد الهجوم على موقع محصن من خلال التحصين في جبل شاهق، حفر الخنادق، واستخدام المجانق لرمي البنادق نحو الأهداف. والتشبيه في الشهب والصواعق يعكس شدة هجوم. ويتناول المؤلف السجع المطرَّف أثناء وصف هذه المواجهة. حيث نجد أن نهايات الكلمات في الجمل تتوافق صوتيا، وتترابط المعاني بالإصرار، والقوة التدميرية، واستعداد الإنجليز للحرب.

وتتضمن هذه العبارة بنفس النوع من السجع: **"فلمّا استولى النصارى على ذلك المرصد ودخلوا فيه، نصَبُوا مَجَانق كثيرة لهَدِّ سورٍ يليه، وهَدَم بُرجٍ كان في حواليه، وفَتْحِ بابٍ يُحاذِيْه . . . فحدث الفُطُور والكُسُور، في حائطِ السُّور. . . وتضعضع الباب، وتقطّع الأسباب، وارتفع الحِجاب".**[2] حيث نجد تناغما لفظيا بين الكمات "يليه" و "حواليه" و "يحاذيه"، وبين "الكسور" و "السور"، وكذلك بين "الباب" و "الأسباب" و "الحجاب". ونلاحظ أن السجع هنا لا يقتصر على التوافق الصوتي فحسب، بل يشمل ترابط المعاني وتكاملها في السياق، حيث تعبر الجمل عن الأفعال مترابطة ومتسلسلة. وهذا الترابط بين الأحداث تتصاعد تدريجيا من التحصين والهجوم إلى تدمير الدفاعات، وفتح الطريق. ويوضح الانهيار الشامل للدفاعات سواء الحسية أو المعنوية.

وفي قوله: **"تَبَوَّؤُوا اِتجاهَ تلكَ الحَدِيْقَةِ مقاعِد، وحفَروا هناكَ خَنادِق ومراصِد".**[3] يتجلى سجع المطرَّف بين كلمتي "مقاعد" و "مراصد"، ما يعكس تحصينا واستعدادا للهجوم من اتخاذ المقاعد إلى حفر الخنادق وإنشاء المراصد.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٦

[2] المصدر السابق، ص: ٤٠

[3] المصدر السابق، ص: ٥٨

وكذلك في قوله: **"حتّى حَالَ الحالُ، وحلَّ الوبالُ، وفَشَا الخَبال. فصَارَ بلاء مُبِيدا، ترك البلاد بِيْدا، والأحرار عَبِيْدا"**.[1] [2] نجد السجع بالتوافق الصوتي بين الكمات "الحال" و "الوبال" و "الخبال"، وبين "مُبيدا" و "بِيدا" و "عبيدا"، ما يجعل النص منسجمًا على المستوى الصوتي. ويشير إلى تسلسل الأحداث التي أدت إلى الكارثة، وسببت تدهور الأوضاع، التي دمرت البلاد تدميرا شاملا، أي على المستوى المادي (بتدمير البلاد)، والاجتماعي (بتحويل الأحرار إلى عبيد).

وقد نلاحظ في الأمثلة المذكورة قدرة المؤلف في استخدام الأساليب البلاغية تعكس مهارته في توظيف اللغة بشكل فني لخدمة المعنى وجذب الانتباه. واستخدام الأساليب البلاغية مثل السجع والتناغم الصوتي ليس فقط لجعل النص جميلًا، بل أيضًا لتوضيح الأفكار وتعميق التأثير العاطفي والروحي. ونرى براعته باستخدام الأساليب البلاغية المتعددة كالسجع، والتشبيه، والتكرار، والتضاد، ما يجعل النص غنيًا من الناحية الفنية. وهذه القدرة الفذة على استخدام الأساليب المختلفة تضيف جمال النص وتمنحه عمقًا وتأثيرًا كبيرا.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٦٠

[2] الخبال: الفساد، والهلاك (خ ب ل)، لسان العرب، ١٩/٤، مُبِيْد: مُهْلِك، (ب ي د)، ٥٤٨/١، بِيْد: جمع بيداء معناها صحراء، ومكان مستوي لا تكون إلا في أرض طين، (ب ي د)، ٥٤٨/١

المبحث الثاني

الجناس

المبحث الثاني: الجناس

الجناس لغة: "الجِنْسُ: الضَّرْبُ من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن العروض والنحو والأشياء جملة، والمراد من الجناس: المشاكلة، ويقال: جانسه: إذا شاكله".[١]

واصطلاحا عند القدماء: "أن يورد المتكلم في كلام قصير نحو البيت من الشعر، والجزء من الرسالة أو الخطبة، كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها".[٢]

وقد عرَّفه المحدثين أكثر دقة وهو: "أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى".[٣]

والجناس سمة بديعية لفظية. أول من اكتشفه هو عبدالله بن المعتز. ويقال له "التجنيس، والتجانس، والمجانسة، وهو تكرار اللفظ مع اختلاف المعنى، ويكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه، ويكون فيه نوع من الاستغراب".[٤] وينتج بسبب هذا التكرار أي تشابه لفظي في الشكل، واختلافهما في المعنى، الجمالَ والتناغمَ في التوازن الصوتي في النص. ويؤثر على المتلقي، ويجعله أكثر مقدرة على إطلاق الفكر في التأمّل والتدبّر. وتحقق له اللذّة السماعيّة.

ويقول عبد الرحمن حسن: "هو فن بديع في اختيار الألفاظ التي توهِمُ في البدء التكرير، لكنها تفاجئ بالتأسيس واختلاف المعنى. ويشترط فيه أن لا يكون متكلفا، ولا مستكرها استكراها، وأن يكون مستعذبا عند ذوي الحسّ الأدبي المرهف."[٥]

---

[١] (ج ن س)، لسان العرب، ٣٨٣/٢

[٢] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص: ٣٣٠

[٣] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٨٥/٢

[٤] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، د.ت، ص: ٣٢٥

[٥] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص: ٤٨٥

أما صاحب "خزانة الأدب" يقول عن الجناس: "إنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب".[1] وأن صاحب الكتاب "الثورة الهندية" استكثر من بيان الكلمات المجانسة كأنه اتخذ منها مذهبا حاصا له. ما يشير إلى براعته ومقدرته في تناول الكلمات المتشابهة مع المعاني المتنوعة.

وأن الجناس من أكثر فن بديعي الذي تصرف فيه علماء البلاغة واعتنوا بتقسيمه. فألفوا فيه كتبًا كثيرة، وجعلوه أبوابا متعددة، واختلفوا في التقسيم، وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض. حتى إنهم أسرفوا في وضع أسماء لكل فرع من فروع أنواعه. فيما يلي ذكرت أهم أقسامه في إيجاز:

أن الجناس له قسمان رئيسان، وهما: "الجناس التام"، و"الجناس غير التام".

١. **الجناس التام:** يقسم إلى **"المماثل"** و**"المستوفي"** و**"التركيب"**.
٢. **الجناس غير التام:** يقسم إلى **"المضارع"** و**"اللاحق"** و**"المحرف"** و**"المصحّف"** و**"القلب"**.

وهناك غير ذلك من تقسيماته الفرعية مثل الناقص والاشتقاق، وجدت نحو جميعها في "الثورة الهندية"، فيما يلي تفصيلها.

[1] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: د. كوكب دياب، ج: ١، ط: ٢، دار صادر . بيروت، ٢٠٠٥م، ص: ٣٧٦

الجناس التام:

هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور، هي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها، واشتق منه المماثل، والمستوفي، المتشابه، المفروق، والمرفو.[1] ومن الفروع التي استوظفها المؤلف في كتابه، هي كما تلي:

المماثل: "هو الجناس التام الذي يكون اللّفظان المتشابهان فيه من نوع واحد من أنواع الكلام، كاسمين، أو فعلن".[2]

قد تناول المؤلف في كتابه "الثورة الهندية" العبارات المتجانسة المسجوعة، وهي متصفة بالفصاحة والبلاغة من الأول إلى الآخر، حيث نرى في العبارة يصلي فيها على النبي – صلى الله عليه وسلم – : "**والصلوةُ على بَشِيرِ بَشِيرٍ نذيرٍ بَشَّرَ به أنْبَاءُ الأنْبَاءِ، المُرجّى شفاعتُه لدفعِ البَلاءِ والأوباءِ**"[3] يتناول المؤلف الجناس التام المماثل بين الكلمتين "**بشير**"، وبين الكلمتين "**أنباء**"، حيث يتفق اللفظان حروفا، وعددا، وهيئة، وترتيبا، ونوعا مع اختلاف المعنى، نحو الكلمة "**بَشِير**" جاءت مرتين بمعنيين مختلفين، المراد من الأولى "**وجهٌ حسنٌ أو بَشَاشَةُ الوَجه**"، أما الثانية فهي اسم الفاعل بمعنى "**مُبَلّغ البشرى**". فالكلمتان متجانستان في اللفظ ولكن اختلفتا في المعنى. وكذلك كلمة "**أَنْباء**" مكررة مرتين، فالأولى بمعنى "**أخبار**" أما الثانية فجمع "**النبي**" كالأنبياء جمع النبي.

---

[1] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٨٧/٢ – ٤٨٨

[2] المرجع نفسه

[3] الثورة الهندية، ص: ٢٦

ومن أغراض الجناس هو إدهاش المتلقى وتنشيط ذهنه، لأن الكلمات المتشابهة يوهمه في البداية على توافق المعنى، فإذا ما أدرك اختلاف المعنى تجدد عنه النشاط. ونلاحظ أن المؤلف يثري النص من فن الجناس بأنواعه المتعددة.

ونرى في قوله: "**ما سبَّح المَلَكُ في الفَلَك والسماء، وسَبَحَ الفُلْكُ في الفَلَك والدَّأْماء.**"[1] حيث يعيد كلمة "**الفلك**" أكثر من مرة، كأنه يخدع المتلقي عن المعنى الجديد الذي يعطي ويوهمه كأنه لم يزد، وفي الحقيقة يضيف المعنى ويحسنه بالإخفاء. ونرى هذا التوافق بين كلمتي "**الفَلَك**" و"**الفَلَك**"، لأن الأولى تدل على "**استدارة السماء**"، أما الثانية فعلى "**موج البحر المستدير المضطرب**".

وفي قوله:"**وابتلاه بشُجونِ شُجون**".[2] يتناول المؤلف أسلوب الجناس التام المماثل لبيان عن معاناته بتكرار الكلمة "**شُجون**"، المراد من الأولى "**أنواع وأقسام وفروع**"، أما الثانية فتدل على "**الأحزان والهموم**". و تعني بالتكرار كأنه قد ابتُلي بأحزان متعددة وكثيرة ومتنوعة.

وأن الجناس في بادئ الأمر يوهم بتكرار الألفاظ وتواردها على المعنى الواحد، فإذا ما دققت النظر وجدت المعاني المختلفة المتباينة، وإذا أدت الجناس تلك الوظيفة، أي مفاجأة السامع إلى جانب تأديته لوظيفة الجمال والتزيين كان مقبولا ومستحسنًا.

وفي قوله: "**وعاجز جازع فازع، إلى ربه فازع**".[3] يحقّق وظيفة الجناس أثناء تعبير عن عجزه وضعفه وخوفه باستخدام كلمة "**فازع**" في سياقين اثنين مع اختلاف المعنى، فيقصد بالأولى

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٢٦

[2] المصدر نفسه

[3] المصدر السابق، ص: ٢٨

"**الخائف**"، بينما السياق الثانية تدل على "**المستغيث**". كأنَّ المؤلف عاجز ويشعر بالجزع والذعر من محنته، فيلتجئ إلى الله تعالى طلبا للنجاة والمساعدة.

ونرى في هذه العبارة: "**ولا يفترق فرقة من فرقة . . .**"[1] يكرّر المؤلف الكلمة "**فرقة**" مرتين، وكلاهما تدل على معنيين مختلفتين، فالأولى مراد منها "**مذهب ديني**"، أما الثانية فتدل على "**مذهب ديني آخر**"؛ لأن الهند يسكن فيها أتباع مذاهب متعددة، والمراد من سياق الكلام كان هدف النصارى اتحاد جميع أهل الهند على مذهبهم "**النصرانية**" حتى لا يفترق مذهب من مذهب ويجمع الناس كلهم تحت ملتهم.

وهنا نلاحظ تعامل المؤلف فنيا مع كلمة فجروا في قوله: "**كانوا في عُسرٍ ثمّ فَجَروا، وإذ فَجَروا فَجَروا**".[2] حيث يتناول كلمة واحدة مرّات بمعان مختلفة، فجاءت كلمة "**فَجَروا**" في المرة الأولى والثانية بمعنى "**برؤوا منه**"، أي خلصوا أو نجوا من العسر، بينما الثالثة جاءت بمعنى "**ارتكبوا المعاصي**". هنا المؤلف يتكلّم عن جيوش المسلمين وسبب فشلهم من النصارى، أي أنهم كانوا في فقر وصعوبة وعندما غلبوا وانتصروا في بداية الثورة وصاروا متكرمين بكثرة المال ارتكبوا المعاصى وانصرفوا من هدفهم. وجاء المؤلف بالجناس التام المماثل باستخدام كلمة "**فَجَروا**" مع المعاني المختلفة.

ومن وظيفة الجناس ميل السامع إلى تشابه الأصوات، والبحث عن المعاني المطلوبة؛ لأن تشابه الأصوات في الألفاظ المتجانسة يسبب الإيقاع الصوتي والتنغيم بين الكلمات، فالموسيقى الناتجة من هذه الأصوات المتشابهة له أثر كبير على السامع، لأنه يميل السامع إلى استخرج المعاني المتباينة من الكلمات المتشابهة. فالموسيقى في الجناس يؤثر في قوة المعنى.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٠

[2] المصدر السابق، ص: ٣٤

كما نجد في هذه العبارة: "**شَغَلَهم قواد البغايا عن قيادة البغايا**".[1] الكلمات المتماثلة مع تشابه الأصوات مع تحقيق وظيفة المعنى حيث أُستخدمت كلمة "**البغايا**" مرتين بمعنيين مختلفين. فالأولى تدل على "**المرأة الفاجرة والفاحشة**"، أما الثانية فتدل على "**الطليعة التي تكون قبل ورود الجيش**". يشير المؤلف إلى فساد قادة الجنود الذين أرسلهم بهادر شاه ظفر. هؤلاء كلهم لا يعرفون أمور المملكة والحرب بل كانوا يعيشون عيش الترف والسرف وكانوا خائضين في غمرات الفسق والفجور.

وفي هذه العبارة: "**والنصارى بعد استيلائهم على البلد وسواده بسواد . . .**"[2] يتناول اسمين متجانسين مماثلين مع اختلاف المعنى، لأن المعنى للكلمة الأولى "**ناحية البلد وضواحيها**"، أما الثانية فجاءت بمعنى "**سواد الجيش**" أي ما يشمل عليه من المضارب والآلات والأدوات والدواب.

"**فَرُمين من بقاع بقاع . . .**"[3] يذكر الجناس التام المماثل مع الطباق بين كلمتي بقاع، ما ينشط ذهن المتلقي تفكير المعاني المطلوبة ويوسع فهمه. كما جاءت الكلمة الأولى بمعنى "**المناطق الخضراء والمزدهرة**"، بينما الثانية متصلة بحرف جر "باء" جاءت بمعنى "**المناطق القاحلة**".

وفي قوله: "**وأفئدتهم هواء، لا تطيب لهم هوى وهواء . . .**"[4] يجانس بين الاسمين، فيذكر اللفظ الواحد بمعنيين مختلفين، يعني بالأول "**فارغ**"، وبالثاني "**الهواء الذي نتنفسه**". وهو يبين عن حالة الجنود المنحرفة وحالة الناس الذين التجوا إلى الملكة "حضرت محل"، واضطروا بالنفور إلى القفار والجبال. فكانت قلوبهم خائفة لا تشعر بالسعادة والراحة. المؤلف استخدم كلمة هواء

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٦

[2] المصدر السابق، ص: ٤٦

[3] المصدر السابق، ص: ٦٠

[4] المصدر السابق، ص: ٦٢

بمعنى فارغ أي قلوبهم فارغة من الشعور، ومرة استخدم هواء بمعنى الهواء الذى نتنفسه، هو الذي يكون في أماكن واسعة وخالية شديدا. ولكن بشدة ضيقهم ليس لهم أي أهواء، حتي لا يشعرون بالهواء.

وفي هذا القول: **"وكانت تلك الجماعة في الحقيقة أنصار الأنصار وأعوانهم"**[1] نجد الجناس التام المماثل بين الاسمين **"أنصار"** و**"الأنصار"** المراد من الأول المساعدون، بينما المصطلح الثاني يدل على **"النصارى"** الذين سموا بهذا الاسم من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها **"ناصرة"**.

الجناس المستوفي: والنوع الثاني من الجناس التام هو المستوفي، "هو الجناس التام الذي يكون اللّفظان المتشابهان فيه من نوعين مختلفين من أنواع الكلام، كأن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا".[2] ومن أظهر أمثلة المستوفي:

قول المؤلف: **"حتى حال الحال وحل الوبال ..."**[3] يشير إلى المصائب والهموم ما أصاب أهل البلد بعد استيلاء النصارى، وإلى انتشار الفساد والاضطراب بين الناس بأسلوب الجناس المستوفي حيث يكرّر كلمتين متشابهتين مع اختلاف النوع، لأن الأولى فعل بمعنى **"تغير"**، أما الثانية فالاسم ما يختص **"بأمور المتغيرة الحسّيّة والمعنوية المتعلقة بالإنسان"**. أي تغيرت أحوالهم بعد ما أصابتهم من المصائب.

وفي قوله: **"همَّ همُّهم مَن في ذلك القطر من مخالفيهم فاهتموا اهتماما ..."**[4] يتناول نفس النوع من الجناس لبيان غلبة النصارى على بلاد الهند، كلّما اتجهوا إلى بلدٍ سكانها خافوا منهم،

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٦٨

[2] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٨٩/٢

[3] الثورة الهندية، ص: ٦٠

[4] المصدر السابق، ص: ٧٠

وتركوا البلد بلا مكافحة. ويشير إلى شدة خوفهم بتكرار كلمة "**همّ**"، فالأولى فعل بمعنى "**أَقلَقَ وأَحزَنَ وأزعَجَ**"، والثانية اسم بمعنى "**البال** و**التفكير**" أي أوَّل العزيمة.

الجناس غير التام:

هو إن اختلف اللفظان في أنواع الحروف، فهذا الجناس يأتي على ضربين: الجناس المضارع، والجناس اللاحق، وإن اختلف اللفظان في أعداد الحروف: فهو الجناس الناقص، وإن اختلف اللفظان في هيئة الحروف الحاصلة من الحركات والسكنات والنقط، سمي هذا النوع من الجناس: الجناس المحرّف، والجناس المصحّف، وإن اختلف اللفظان في ترتيب الحروف، سمي الجناس القلب.[1] وأن هذا النوع من الجناس أكثر وقوعا وأحسن ورودا في "الثورة الهندية" وتتوفر بأنواعه المضارع، واللاحق، والناقص، والمحرّف، والمصحف.

الجناس المضارع: "هو ما اختلف فيه اللّفظان المتشابهان في نوع حرف واحد مع تقاربهما في النطق، في الأول أو الوسط أو الآخر".[2] ومن الأمثلة المتناولة لهذا النوع:

قوله: **"لزعمهم أن الجنود ... إذا ارتضَوا لِأديانهم بالإبدال والإبطال".**[3] يشير المؤلف في قوله إلى أكبر سبب الثورة الهندية ضد الإنجليز هو التعصب الديني وتبليغ المسيحية، لغرض هذا كانوا يجبرون الجنود المسلمين والهنود على تغيير دينهم، والأسلوب الذي تناوله المؤلف يساعد على فهم المعنى فهمًا دقيقًا وعميقًا. حيث قدم الجناس المضارع بين كلمتي **"الإبدال"** و**"الإبطال"**. حيث تدل الأولى على **"التغيير في الدين"** أما الثانية فتدل على **"إلغاء الأحكام الدينية السابقة".**

وكذلك في قوله: **"أسَرَه فقَسَره وكَسَرَه بكل ضَرْب من الإيلام"**[4] نفس النوع من الجناس بين

---

[1] د. عبد العزيز العتيق، في البلاغة العربية علم البديع، ص: ٦١٥ . ٦٣٢

[2] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٩٤/٢

[3] الثورة الهندية، ص: ٣٢

[4] المصدر السابق، ص: ٢٨

كلمتي **"قسره"** و**"كسره"** ما تدل على تعرض المؤلف **"بالإيذاء والآلام"** وعلى **"القهر والإكراه"** من قبل النصارى.

وفي قوله: **"وكلهم عن تدبير تتبيرهم مقصّرون"**[1] يتفق بين كلمتي **"تدبير"** و**"تتبير"** مع اختلاف اللفظ حيث يشير إلى أنصار النصارى الذين كانوا غافلين عن تدابير النصارى المهلكة والمدمرة، وكانوا يقدمون المساعدة لهم باستمرار.

وفي قوله: **"فمن باكٍ يتفجَّع وشاكٍ يتوَجَّع"**[2] يختار الكلمات المتشابهة **"باكٍ"** و**"شَاكٍ"**، و**"يتفجَّع"** و**"يتوجَّع"** لبيان شدة الألم الذي نتيجة لفشل الثورة، التي ألحقت بالناس المصيبة العظيمة وجعلت كل شخص يعاني منها. فكان الناس يبكون ويصرخون ويتوجعون من الألم.

وقوله: **"فرجعوا إلى الأهل والأوطان آئبين خائبين مع الخسران والحرمان"**.[3] يشير إلى الجنود الذين كانوا مع الملكة "حضرت محل". واستخدم في العبارة كلمتين متجانستين، وهما **"آئبين"** و**"خائبين"**، ما يشير إلى هزيمة الجنود وفشلهم في الوصول إلى أهدافهم ما كانوا يأملون به، فاضطروا إلى أمان العدو بخيبة الأمل بعد إعلان الملكة فكتوريا بعفو عام.

الجناس اللاحق: "وهو ما اختلف فيه اللّفظان المتشابهان في نوع واحد منهما غير متقاربين في النطق، في الأوّل أو الوسط أو الآخر".[4] توفر المؤلف هذا النوع من الجناس في كتابه، فتناول الكلمات المتطابقة في عدد الحروف، وفي هيئتها وترتيبها مع اختلاف في نوعها. ويكون هذا الاختلاف بين الحروف المتباعدة في المخرج.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٥٦

[2] المصدر السابق، ص: ٦٠

[3] المصدر السابق، ص: ٧٢

[4] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٩٥/٢

كما قال:"**الحَمْدُ لله عَظِيمِ الرجاءِ للإنجاءِ من دُونِ الإرْجاءِ مِنَ البَلوى...**"[1] فالعبارة تعبر عن الشكر لله تعالى وتوكل المؤلف على الله سبحانه وتعالى، هو الذي ينجينا وينقذنا من البلاء والمحن دون التأخير والتأجيل. فالكلمة "**الإنجاء**" ما تدل على "**إنقاذ**"، يشاكل الكلمة "**الإرجاء**" التي بمعنى "**تأخير وتأجيل**" مع اختلافهما في حرف واحد.

وفي هذه العبارة: "**... لمنْ ظُلِم وَاضْطُرّ عِنْد الابْتِلاءِ بالأسْواءِ والأَدْواءِ**".[2] يجانس المؤلف بين كلمتي "**الأسواء**" و"**الأدواء**"، والأسواء جمع سَوء، مراد منه "**الآفات وكل ما يحزن الإنسان**"، أما الأدواء جمع داء، بمعنى "**أمراض**". وفي قوله:"**وحَائِرٍ جَائِرٍ بَائِرٍ تَعِسٍ، من ظُلْمِ جَابِرٍ جَائِرٍ شَكِسٍ شَرِسٍ**".[3] يتكلّم عن أسره في جزيرة أندامان بأيدي الإنجليز، ويختار أسلوبا غير مباشر مليئا بالمحاسن البديعية بسبب ظروفه السياسية، لأن في ذلك الزمن كان استعمار الإنجليز، وهم كانوا يظلمون من يقف ضدهم، ويؤذون أشدّ الإيذاء، كما يخبر عن شدائده التي عاشها أثناء قيده لا يمكن تخيّلها، وتناول الأسلوب البديعي المتجانس بين كلمات "**حائر**" و"**جائر**" و"**بائر**"، التي تدل على"**رجل مضطرب**"، "**مائل عن القصد**"، "**متحير في أمره لا يدري كيف يهتدي فيه**". وبين كلمات "**جابر**" و"**جائر**" بمعنى "**مُكرِه وقاسِر، وظالم**". وبين كلمات "**شكس**" و"**شرس**"، حيث تدل الأولى على "**الذي سيّئ الخُلق والمعاشرة**"، أما الثانية فعلى "**شديد الخلاف**". ونوع الجناس الذي تناوله هو الجناس اللاحق أي اتفاق بين كلمات مع اختلاف نوع الحرف غير متقارب المخرج.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٢٦

[2] المصدر نفسه

[3] المصدر السابق، ص: ٢٨

وكذلك في قوله: **"قُضِيَ عليه بلا مُدَّعٍ وَمُنازِعٍ، وسَادِمٍ نادِمٍ عَادِمٍ لِكُلّ مُنَادِمٍ خَادِمٍ"**[1] [2] يتجلى استخدام الجناس في الكلمات **"سادم"** و**"نادم"** و**"عادم"**، لإيصال المعنى قويًا وواضحًا. فالمراد من **"سادم" الحزين الذي لا يطيق ذهابا ولا مجيئا"**، بينما **"نادم"** تدل على **"متحسِّر"**، أما **"عادم"** تدل على **"فاقد ومحروم"**. كل هذه الكلمات تدل على عجز المؤلف وضعفه؛ لأن في هذه القضية لم يدّع عليه أحدٌ ولم يرفع دعوى إلى القضاء، أي قضي عليه بشكل نهائي دون ترك المجال للجدل.

وفي هذه العبارة: **"... فبَنَوْا لتعلّم الأطفال والأغفال ..."**[3] نرى مجانسة بين كلمتي **"الأطفال"** و**"الأغفال"**، حيث يبيّن عن حيل النصارى لجمع جميع الناس على دين النصارى، اهتموا ببناء المدراس للأطفال وللغافلين عن حيلهم.

ويشير المؤلف إلى وزير الملك في قوله:**"وكان عامله الّذي في المعنى واليا عاليا"**[4] هو الذي كان عميلا للنصارى وغاليا في حبهم. وشاكل بين كلمتي **"واليا"** و**"عاليا"**، التي تدل على **"حاكما، وذومكانة رفيعة"**.

ويبَيَّن خيانة المسلمين في قوله: **"ويجهدون في فُلّ شوكة المجاهدين وقلعهم وقمعهم ..."**[5] [6] الذين كانوا يبذلون جهدا كبيرا لكسر قوة المجاهدين والقضاء عليهم. وقد تشابه في النص بين كلمتي **"قلعهم"** و**"قمعهم"** ما يبرز شدة التأثير والقوة المستخدمة ضد المجاهدين، لأن الكلمة

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٢٨

[2] منازع: مصطلح محكمي بمعنى مخاصم الذي يرفع دعوى إلى القضاء، (ن ز ع) لسان العرب، ١٠٧/١٤، منادم: رفيق، (ن د م) ٩٥/١٤

[3] الثورة الهندية، ص: ٣٠

[4] المصدر السابق، ص: ٣٤

[5] الثورة الهندية، ص: ٣٨

[6] فُلّ: الكسر والضرب، (ف ل ل) لسان العرب، ٣٢٤/١٠، شَوكَة: السِّلاح، حِدَّة السِّلاح، (ش و ك) ٢٤٠/٧

"قلع" تدل على **"انتزاع الشيء من أصله وإزالته تماما"**، بينما **"قمع"** تدل على **"القهر والسيطرة"**. نرى هذا الجناس يعطي الجملة إيقاعا موسيقيا ويقوي تأثيرها على السامع، ويجعل النص قويا من الناحية التعبيرية.

جناس القلب: "وهو ما اختلف فيه ترتيب حروف اللّفظين، واتفقا في النوع والعدد والهيئة".[1] واشتق علماء البلاغة من هذا النوع ثلاثة فروع: قلب كلّ، قلب البعض، المقلوب المجنّح.

يوجد في العبارة: **"... من المسلمين الجِلاد للجِدال والجِلاد والغزو والجهاد"**[2] التشابه الصوتي بين كلمتي **"الجدال" و "الجلاد"**، وهو جناس القلب حيث تشتمل الكلمات على نفس الحروف مع اختلاف في ترتيبها لكنها تحمل معاني مختلفة؛ لأن الكلمة الأولى **"الجدال"** تدل على **"القِتال والمخاصمة"**، أما الثانية **"الجلاد"** فجاءت مرتين، الأولى جمع جَلْد ما تدل على **"صابرين على المكروه"** أي هم أشداء وأقوياء، وهي صفة المسلمين، بينما الثانية فتحوي معنى **"القتال بالسيف"**. وهذا التشابه يعطي العبارة النغمة الموسيقية ويجعلها أكثر تأثيرا على المتلقي.

ويصف في قوله: **"والجنود المنحرفة أشتات مختلفة ... ومنهم من هرب وقلبه رهب"**.[3] حالة الجنود المتفرقة والمتشتتة حيث تحولوا إلى مسارات مختلفة، بعضهم أصبحوا متمردين لا يطيعون أحدا، بينما البعض الآخر أصبحوا ضائعين بلا ملجأ أو مأوى. وكذلك بعضهم فروا وكانت قلوبهم مليئة بالخوف والرهبة. وقد استوظف المولف الجناس الناقص في قوله بين كلمتي **"هرب"** و **"رهب"**، حيث تشترك الكلمتان في نفس الحروف مع اختلاف الترتيب، مما يعطي العبارة

---

[1] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٩٦/٢

[2] الثورة الهندية، ص: ٣٤

[3] المصدر السابق، ص: ٣٦

موسيقى مع عمق المعنى وإيجاز، الذي يبين لنا أن الهروب كان مدفوعا بشعور نفسي قوي وليس مجرد رد فعل للموقف الخارجي.

ويصوّر في العبارة: **"فلم يبق من أهل البلد لمجادلتهم ومجالدتهم أحد من أهل الجلد"**.[1] مشهدا من الانتهاء أو الاستنفاد في مواجهة أهل البلد، حيث لم يتبق منهم شخص يمتلك الشجاعة أو القدرة لمواجهة الأعداء سواء كانت المواجهة فكرية أو صراعًا جسديًا. وعبر عن هذا الصراع الفكري والجسدي بالتلاعب اللفظي، حيث تتشابه الكلمتان **"مجادلتهم"** و **"مجالدتهم"** في الصوت وتتباين في المعنى؛ لأن الأولى تشير إلى **"النقاش والمخاصمة"**، أما الثانية فإلى **"القتال"**. فاستخدام الجناس يعزز العبارة من قوة المعنى وبتوليد الموسيقى من خلال تشابه الصوت، مما يجعل النص أكثر جاذبية ولفتا للانتباه. ويظهر قدرة المؤلف بتلاعب الحروف، واستخدامها بطرق مبتكرة لإضفاء جمال وعمق على النص.

الجناس المصحّف: "هو أن يتشابه اللّفظان في الكتابة مع اختلاف في نطق الحروف".[2] أن الاختلاف بين اللفظين يكون فقط في النقط، بحيث لو أزيلت هذه النقط لم يمكن التمييز بين الكلمتين.

كما نرى في قول المؤلف:**"فإن كتابي هذا كتابُ أسيرٍ كسيرٍ خسيرٍ على ما فات منه حسير"**[3] الجناس المصحّف بين كلمتي **"خسير"** و**"حسير"**، قد اختلفتا في الحرف الأول مع الاختلاف في المعنى؛ لأن الكلمة الأولى جاءت بمعنى **"مغلوب"**، بينما الثانية فجاءت بمعنى **"حزين ومتلهّف"**.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٤٤

[2] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٩٧/٢

[3] الثورة الهندية، ص: ٢٦

وكذلك في قوله: "**... نظرا إلى تحكم محتبسٍ فَظٍّ غَلِيظِ القلب مختبس**"[1] يتناول نفس النوع من الجناس بين كلمتي "**محتبس**" و"**مختبس**"، ما يعتبر جناسا مصحفا لأن العبارة متشابهة في الحروف والأصوات مع اختلاف في نقط الحروف. وإذا تغيرت الحروف يتغير المعنى. كما نرى هنا كلتا الكلمتين تحمل معنى مختلفًا. فالكلمة "**محتبس**" تدل على "**مقيّد**" بينما الثانية تدل على "**الذي سلب حق فلان ظلما، أو ظالما**".

وإن من براعة المؤلف توظيف الكلمات المتجانسة بأنواعه المختلفة في العبارة الواحدة، ويبرز قدرته على اختيار الكلمات التي تتشابه في الحروف مع اختلاف في النقط. كما نرى هذا النوع في قوله: "**فكانوا لا يبرزون حيث يستشعرون مقاتلا ومقابلا إلا قليلا**".[2] نجد نفس النوع من الجناس بين كلمتي "**مقاتلا**" و "**مقابلا**". هذا يعكس إبداع المؤلف وعمق معرفته باللغة.

وقوله: "**... هُنّ حافيات غير خافيات**"[3] يشير إلى الظروف الصعبة تواجهتها نساء الأمراء والشرفاء بعد فشل الثورة وتسلط النصارى، قد هربن خوفًا من انتهاك حرمتهن وكُنَّ بدون الحذاء والحجاب. قد عبر المؤلف عن أحوالهن بأسلوب الجناس المصحّف بين كلمتي "**حافيات**" و"**خافيات**"، فالكلمة "**حافيات**" جمع حافية تدل على "**عارية القدمين**"، و "**غير خافيات**" تدل على "**التي بدون الستر والحجاب**". ما توحي إلى سعيهن للحفاظ على شرفهن خوفًا من انتهاكه بأيدي الإنجليز. فالجناس بهذا الشكل يُثري النص ويقدم صورة للأجيال القادمة عن قبح أعمال الإنجليز وظلمهم بعد تسلطهم، ما يزيد من تأثيره الجمالي والمعنوي.

ويعبر كلامه بأسلوب رائع من الجناس المصحف في قوله: "**وكان الإفْلاحُ والإفْلاجُ مَرجوا،**

---

[1] المصدر نفسه

[2] المصدر السابق، ص: ٤٢

[3] المصدر السابق، ص: ٦٠

والفَرجُ والفَرحُ مَظْنُونا، وما قدَّر في الغَيبِ مَكْتوبا مَكْنونا".[1] [2] حيث وافق بين كلمات "**الإفلاح**" و"**الإفلاج**" وبين "**الفرج**" و"**الفرح**" وكذلك بين "**مكتوبا**" و"**مكنونا**". ويتشابه المؤلف فيها في بعض الحروف واختلف في بعضها الآخر. وأيضا نجد تشابه في الشكل وتباين في النقط، مما يعطي العبارة جمالا صوتيا ويجعلها أكثر إيقاعا ويعزز من ترابط المعنى. فالجناس هنا بإيقاعه الشديد يوحي إلى مشاعر المؤلف كانت مزيجة من الأمل والظن والترقُّب للفوز والانتصار في الثورة لما سيأتي من الغيب، مع تلميح إيمانه بأن قضاء الله وقدره مكتوب ومخفي لا يعرفه الناس.

وقد يصف حالة وزير الملك في قوله: "**وبقي حسران في الخسرانِ**".[3] ويتواجد هنا الجناس المصحّف بين كلمتي "**حسران**" و"**خسران**"؛ لأن كلمتين متشابهتين في اللفظ ولكن مختلفتين في الخط مع اختلافه في المعنى، الأولى تدل على "**التأسف**"، بينما الثانية على "**النقصان**"، أي أوقع في حسرة على نقصانه. فالجناس من هذا النوع يلتفت انتباه القارئ ويجعله أن يفكر عن المعنى المطلوب ما يشرح النص أكثر وضوحا ويترسخه في ذهن المتلقي.

الجناس المحرّف: "وهو ما اختلف فيه اللّفظان في هيئة الحروف، واتفقا في نوعها وعددها وترتيبها".[4] يتناول هذا النوع من الجناس بين كلمتي "**ظُلَمِ**" و"**ظُلْمِ**" في قوله: "**... وكشف ظُلَمِ ظُلْمِ الأعداء**"[5] ما يوهم المتلقي بتكرار الكلمات ولكن هذا التكرار يكون بشكل ظاهري

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٤٦

[2] الإفلاح: الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير، (ف ل ح)، لسان العرب، ٣١٥/١٠، الإفلاج: الظفر والفوز بعد الجهد، (ف ل ج)، ٣١٤/١٠، الفرج: الرّاحة من الحزن، (ف ر ج) ٢٠٩/١٠، الفرح: السرور، (ف ر ح)، ٢١٢/١٠، مكنونا: مستور، (ك ن ن)، ١٧٣/١٢

[3] الثورة الهندية، ص: ٥٠

[4] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٩١/٢

[5] الثورة الهندية، ص: ٢٦

لأن في هذا النوع من الجناس كل الكلمة تحمل معنى مختلفًا مع اختلافها في حركات الحروف. كما نرى معنى كلمة "**ظُلَمِ**" التي تعني "**ذهاب النور**"، و"**ظُلْمِ**" تعنى "**عدم الانصاف**".

وكذلك نرى نفس النوع من التشابه بين كلمتي "**الفَلَك**" و"**الفُلْك**" في قوله: "**ما سبَّح المَلَكُ في الفَلَك والسماء، وسَبَحَ الفُلْكُ في الفَلَك والدَّأْماء.**"[1] وكلها تشير إلى معاني متباينة لأن "**الفَلَك**" الأولى تدل على "**استدارة السماء**"، **و** "**الفُلْك**" تدل على "**السفينة**"، أما "**الفَلَك**" تدل على "**موج البحر المستدير المضطرب**". فجمع المؤلف بين هذه الكلمات الجناس التام والمحرّف، ما يعبر معاني مختلفة رغم التشابه اللفظي.

وفي قوله: "**وطَمَسِ عَلَمَ العِلْمِ حتى من القرطاسِ والطرْسِ**".[2] يقدّم سبب جهاد المسلمين ضد النصارى الذين عزموا محو الدين الإسلامي وعلومه. فالكلمة "**عَلَم**" تدل على "الرأية" أما "**العِلْم**" على "المعرفة والعلوم الدينية". تتضمن هاتان الكلمتان أسلوب الجناس المحرّف ما يوحي إلى محو العلم والمعرفة بحيث شمل كل المصادر الممكنة التي يحتمل أن تسجل فيها العلم.

ويتناول نفس النوع من الجناس في قوله: "**وهو إِمَّرٌ لا يعلم أمْرا، ولا يعمل إلا إِمرا**"[3] بين كلمات "**إِمَّر**" "**أَمْرا**" و"**إِمْر**"، التي اختلفت في هيئة مع اختلاف المعنى. فـ "**إمّر**" يدل على "**الأمير**"، و"**أَمْرا**" على "**فعلا**"، و"**إمْرا**" على "**الأمر العظيم الشنيع والعجيب**". ما يوحي إلى جهل الملك وعدم معرفته بالأمور الدولية، ولا يقوم إلا بالأعمال السيئة أو العجيبة. فهو غير قادر على أداء الشيء الصالح والنافع حسب منصبه. هذا الجناس يعطي العبارة إيقاعا موسيقيا، ويزيد من عمق المعنى، ويوضح مدى سوء حال الملك في أمور الدولية. ونجد في هذه

---

[1] المصدر نفسه

[2] المصدر السابق، ص: ٢٨

[3] المصدر السابق، ص: ٣٤

العبارة: "**قد عَرَجُوا وعَرَّجُوا اتجاه المصر على جَبَلٍ شَاهِقٍ**"[1] جناس بين كلمتي "**عَرَجُوا**" و"**عَرَّجُوا**" الأولى بمعنى"**صعدوا**"، بينما الثانية بمعنى "**نزلوا أو مالوا**".أي صعدوا على الجبل مرتفع ثم نزلوا إلى جانب البلد.

ويوجد الجناس المحرّف بين كلمتي "**العَدَد**" و"**العُدَد**"، حيث يقول: "**فأمدوهم بكَثِيرٍ مِنَ العَدَدِ والعُدَدِ**"[2] وكلتاهما تدل على معنيين مختلفين، الأولى تشير إلى "الجنود"، بينما الثانية تعني "المعدات والأدوات والأسلحة". وسياق الحديث توحي إلى تقدم الدعم لمساعدة النصارى من قبل الهنادك. وهنا استخدام الجناس يعبر بشكل موجز عن دعم واسع النطاق يغطي جميع الجوانب الضرورية، ما يقوي المعنى ويجعل المتلقي يشعر بغزارة الدعم المقدّم من الهنود للنصارى المستعمرين.

الجناس الناقص: "هو ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر، مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب".[3] كما نرى في الأمثلة الآتية:

يذكر في قوله: "**وتمشَّى في أمن الطرائق الفساد والفُطُور، واختلَّت الأوامر والأمور**".[4] الجناس الناقص بين كلمتي "**الأوامر**" و"**الأمور**" يبين التشابه الحرفي مع التوسع في المعنى، لأن الأولى تشير إلى "**القوانين أو التعلمات المحددة**"، بينما الثانية تمثل "**القضايا العامة**". وهذا الجمع يعبر عن الفوضى والاختلال يعمّ البلد؛ لأن الاضطراب لم يقتصر على التعلمات والأوامر الرسمية فحسب، بل يمتد ويشمل كل ما يعمّق من إحساس القارئ بحجم الفوضى. وقد اجتمع

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٦

[2] المصدر السابق، ص: ٣٨

[3] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٩٢/٢

[4] الثورة الهندية، ص: ٣٢

الجناس الناقص مع القلب بين هاتين الكلمتين.

وفي قوله: "**وفريق من الجنود ... يحولون بينهم وبين ما يحاولون**".[1] يقدّم التشابه في الحروف مع حذف الحرف الواحد بين فعلى "**يحولون**" و"**يحاولون**"، ما يشير إلى محاولة المسلين المجاهدين ليمنعوا الأعداء من تحقيق هدفهم. فالفعل "يحولون" يدل على "**وقوف المجاهدين مثل الحواجز أمام أهداف العدو**"، أما الفعل الثاني فيدل على "**المحاولة والوصول إلى غرض معين**". فالعبارة تعبر عن التوتر والصراع بين فريق الجنود الذين يعترضون المحاولين ويمنعونهم من الوصول إلى ما يحاولون تحقيقه.

وقد يشير هنا: "**وجُلّ من ابتُلي بظُلْمِ الظَلَّام أهل الإيمان والإسلام**".[2] إلى معظم الناس من تعرضوا للظلم من قبل النصارى الظالمين كانوا المسلمين. واستخدم كلمتي "**ظلم**" و "**ظلَّام**" كالجناس الناقص لتمثيل الظلم من قبل الظالمين. وتكرار الحروف بين كلمتين يعطي إيقاعا صوتيا يبرز ثقل الظلم وقسوته.

وفي هذه العبارة: "**فقد نجَّاني ومن معي مالكُ المُلكِ ...**"[3] يعبّر عن الإيمان والثقة بالله. حيث يقول قد أنقذنا من المحنة والمصيبة من الذي مالك الملك، أي المتصرف المطلق في الكون وما فيه. والكلمتان "**مالك**" و "**الملك**" تحتوي على الجناس الناقص، بنقص حرف واحد مع الاختلاف في المعنى؛ لأن "**مالك**" يوحي بـ"**السيطرة والسلطة لله سبحانه وتعالى**"، و"**الملك**" يراد به هنا "**الكون وكل ما فيه**".

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٨

[2] المصدر السابق، ص: ٥٠

[3] المصدر السابق، ص: ٥٤

وفي قوله: "**فجعلوا تلك القرية حصنا حصينا**"[1] أيضا يتناول الجناس الناقص بين كلمتي "**حصنا**" و "**حصينا**"، ما تشتركان في الحروف بترتيبها، ولكن تختلفان في حرف واحد مع اختلاف في المعنى. فالكلمة الأولى "**حصنا**" تدل على "**بناء أو قلعة قويّة تستخدم للدفاع والحماية**". أما الكلمة الثانية "**حصينا**" هي "**الوصف الحصن الذي في غاية المناعة**"، وهو تعبير للمبالغة. فالجناس هنا يضفي جمالا صوتيا ويؤكد المعنى. هذا النوع من الجناس يبرز المهارة اللغوية للأديب عند استخدامه في إنتاجاته.

[1] الثورة الهندية، ص: ٦٦

ما يلحق بالجناس:

جناس الاشتقاق: "هو أن يجمع بين اللفظين الاشتقاق"[1] فجناس الاشتقاق هو الجمع في الكلام ألفاظًا مشتقة من جذر لغوي واحد مع اختلاف في الصيغة. كما نرى في كلام المؤلف حيث يقول:"**والصلوةُ على بَشِيرِ بَشِيرٍ نذيرٍ بَشَّرَ به أنْبَاءُ الأنْبَاءِ**"[2] نجد هنا جناس الاشتقاق بين كلمتي "**بَشِير**" و "**بَشَّرَ به**"، حيث نرى الكلمة الثانية مشتقة من الأولى مع الاتفاق في أصل المعنى. لأن الكلمة الأولى تدل على "**مبلّغ البشرى**" أما الثانية فهي فعل ماضٍ من نفس الجذر.

والعبارة: "**ولا يفترق فرقة من فرقة**"[3] أيضا تحتوي على جناس الاشتقاق، لأن نجد هنا كلمتين "يفترق" و "فرقة" من جذر واحد مع اختلاف في الصيغة.

وفي قوله: "**فقَاتَلوا وقَتَلوا وقُتِلُوا ولم يبق منهم أحد**".[4] نجد جناس الاشتقاق حيث يتم استخدام كلمات مشتقة من جذر واحد، الكلمة الأولى "قاتلوا" فعل ماضٍ بمعنى حاربوا، بينما الكلمة الثانية "قَتَلوا" أي قد قاموا بالقتل، أما الثالثة فهي فعل ماضٍ مبني للمجهول تعني أنهم قُتِلوا أخيرا من جانب النصارى وهي جماعة قاومت في القتال ولم تفرّ رغم عددها القليل. استخدام الكلمات من نفس الجذر يعكس تكرار القتل، سواء كان قتالا موجها منهم أو ضدهم، ويوحي بالتتابع السريع للأحداث مما يزيد من حدة المشهد وتصاعده.

---

[1] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٩٨/٢

[2] الثورة الهندية، ص: ٢٦

[3] المصدر السابق، ص: ٣٠

[4] المصدر السابق، ص: ٦٦

لاحظنا أن المؤلف فضل الحق الخيرآبادي قد أبدع في استخدام الجناس بأنواعه، وتميز أسلوبه بكثرة توظيف الجناس بجميع أنواعه: التام، الناقص، المضارع، المحرف، والمقلوب، حتى امتاز عن غيره من الأدباء بكثرة استخدامه بشكل غير مسبوق.

وما يُجدر بالذكر هو أن كثرة الجناس عند الخيرآبادي لم يكن مجرد حُلية لفظية أو تكلّف بياني، بل كانت موظفة بدقة لخدمة المعنى وتعزيز الإيقاع الداخلي للنص.

وقد انفردت أعماله بكثرة الجناس مع المحافظة على فصاحة المعنى ووضوح الفكرة، وهو أمر قلّ أن اجتمع في أسلوب أديب آخر.

لذلك، يمكن القول إن الخيرآبادي قد بلغ بالجناس مرتبةً فنيةً عاليةً لم يدركها غيره بهذه الكثافة والإتقان، مما يجعله أحد أبرز البلغاء الذين جمعوا بين غزارة الزخرفة وعمق البيان.

المبحث الثالث

رد العَجُز على الصدر

المبحث الثالث: ردُّ العَجُز على الصّدر

في النثر: "هو أن يُجعل أحدُ اللفظين المكرَّرين، أو المتجانسين لفظا لا معنى، أو الملحقين بالمتجانس، وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق، أو شبه الاشتقاق في أوّل الفقرة والآخرَ في آخِرها".[1]

أول من سبق بتعريف هذا اللون البديعي هو ابن المعتز، وقد سماه المتأخرون "الترديد" و"التصدير"، ولكن التصدير مخصوص بالقوافي.

وإن الغرض البلاغي لهذا الفن هو تكرير الكلام وتدليله، وإلى جانبه نجد فيه التناسب والتناغم الصوتي لأن تكرار الألفاظ يتحقق موسيقى وجرسا من الكلام؛ فهو إذن طرفا من أطراف البلاغة الذي يزيد الكلام جمالا ورونقا. واستعان المؤلف بهذا الفن في كتابه "الثورة الهندية"، الذي يزيد النص جمالا ورونقا. وفيما يلي توجد أمثلة متناولة لهذا اللون:

كقول المؤلف: "**كان المجاهدون الغُزَاة الحُماة الكُماة يدافعونهم أشَدَّ الدِّفاَع، ويُقَارِعُونهم أسدّ قِرَاع. يثبّتون عند الالتحام الأَقدام. ويتقدمون على كل مِقْدَام لدى الإقْدام. فذاق كثير منهم شهد الشهادة، وسَعَدُوا وصَعِدُوا مَعَارجَ السَّعَادةِ**".[2] [3] فيه يمدح المجاهدين وأعماله العظيمة، ويشير إلى التضحيات والجهد الكبير التي يبذله المجاهدون في مواجهة أعدائهم بكل أساليب القوة والتصدي. نلاحظ في العبارة يتضح أسلوب "**رد العجز على الصدر**" من خلال ما يلي: "**يدافعونهم أشد الدفاع**" فالجزء الأول من الجملة "**يدافعونهم**" هو الصدر، والعجز

---

[1] د.عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، ص: ٦٤١

[2] الثورة الهندية، ص: ٤٠

[3] الحماة: مدافع الوطن بحميّة، (ح م ا)، لسان العرب، ٣٤٨/٣، الكماة: الشجاع هو الذي يكمي شجاعته لوقت حاجته، (ك م ي) ١٦٢/١٢، يقارعون: يقاتلون الجيوش بالسيوف، (ق ر ع)، ١٦٠/١١، الأقْدام: يمشي على قدميه، (ق د م)، ٦٤/١١، مِقْدام: كثير الإقدام على العدوّ جريء في الحرب، (ق د م)، ٦٦/١١، الإقدام: الشجاعة (ق د م)، ٦٥/١١

هو الذي يأتي بعده ويكمل المعنى، وهو "**أشد الدفاع**". والعجز هنا يوضح ويعزز معنى الصدر، ما يعنى أن الدفاع كان في أعلى درجاته وأقصاها من القوة. وقوله "**يقارعونهم أشد القراع**" يشير إلى الاشتباك والقتال مع العدو، ما يتضمن صورة بلاغية ويعبر عن المعركة، ويوضح لنا أن القتال كان شديدا في جميع أبعاده، سواء في الدفاع أو الهجوم.

وكذلك في قوله: "**ويتقدمون على كل مِقْدَام لدى الإقْدام**" يرد العجز "**لدى الإقدام**" على الصدر "**يتقدمون على كل مقدام**" ليؤكد المعنى ويدعمه. ما يشير إلى تفوق المجاهدين على كل مقدام لأنهم يظهرون القوة والشجاعة في كل موقف. هذا الأسلوب البلاغي المتناول يعزز الصورة ويجعل المعنى أكثر وضوحا وقوة. ونجد في القول "**وسعدوا وصعدوا معارج السعادة**" نفس الأسلوب البلاغي، ما يعبر مرتبة الشهداء أي يحصلون مكانة رفيعة جدا بسبب تضحياتهم وبطولاتهم. والعجز يرد على الصدر بتفصيل كيفية تحقيق السعادة ويوضح المعنى أكثر وضوحا وعمقا. لأن كلمة "**وسعدوا**" يعبر عن حالة الفرح والسعادة، بينما العجز "**معارج السعادة**" يعبر عن الدرجات العليا والمراحل المتقدمة في تحقيق السعادة.

وقوله: "**وقد ائْتَلَفَ بالنصارى من سُكَّان البلدِ آلافُ ائْتِلافا**".[1] [2] يشير إلى اتفاق أهل الهند مع النصارى ضد المجاهدين.أي ساعد الهنادك وبعض من المسلمين النصارى في القتال ضد المجاهدين. وبهذه المساعدة هم غلبوا على سكان أهل الهند. نجد في العبارة أنّ المؤلف يكرّر الكلمة "ائتلف" في الصدر بصيغة المصدر في العجز.ما يخلق نوعًا من التوازن اللفظي والمعنوي في العبارة مع توكيد المعنى، ما يرسخ الفكرة في ذهن المتلقي. وهذا الربط بالكلمة الأولى يوحي أن هذا الاتفاق كان واسع النطاق وشمل آلاف الأشخاص.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٨

[2] ائْتَلَف: اجتمع، اتفق، (أ ل ف)، لسان العرب، ١٨١/١

ونرى في قوله: **"فَيَأكُلون كُلَّ ما يأخُذُون أَكْلاً لَمًّا"**.[1] نفس الأسلوب، لأن المؤلف يكرّر مصدر الفعل "يأكلون" في آخره ما يؤكد المعنى الكلمة الأولى ويبين كيفية الأكل. فالعبارة تشير إلى قواد الجيش الإسلامي الذين يأخذون الأموال والتجهيز للجيش من الناس، ولا ينفقونها على الجيش بل كانوا يجمعونها ويأكلون كل شيء بأنفسهم.

وفي قوله: **"والْتَاحُوا اِلْتِياحًا، والْتَاعُوا الْتِيَاعًا، فَاضْطُرُّوا أَشَدَّ اضْطِرَارٍ، وفَرّوا أَشْنَعَ فرارٍ"**.[2] [3] يذكر الفعل في بداية الجملة ثم يكرّر مصدر الكلمة بمعناها في نهاية الجملة ما يؤكد المعنى ويحقق التناغم بين الجمل. واستخدام المصدر بعد الفعل يوضح ويشرح الفعل بشكل أكثر دقة، مما يسهل تثبيت الفكرة في ذهن المتلقي.

وفي قوله: **"تدبيرًا يُتَبِّرهم تَتْبِيرا، فقَتَّروا عليهم الأقْواتَ تَقْتِيرا"**.[4] [5] يبين مصائب جيش المسلمين من قاتل النصارى. أي هم واجهوا مصائب من عدة جوانب، كان بعض من قادة الجيش الذين عينهم الملك كـ "مرزا إلهي بخش"[6] وغيرهم لم يكن يريدون مقاتلة العدو بل كانوا يخططون للهزيمة حيث منعوا الطعام والمؤن للجيش. ما يبين المؤلف بتكرار كلمتي **"تتبير"** و**"تقتير"** وفي نهاية الجملة بتأكيد إضافي على فعلي **"يتبَّرهم"** و**"قَتَّروا"**، لبيان شدة الأمر ويفسر مدى البخل والتضييق والهلاك والتدمير. واستخدام جمع "الأقوات" بدلا من المفرد يضخم من

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٣٦

[2] الثورة الهندية، ص: ٤٦

[3] اِلْتَاحَ: عَطِشَ، (ل و ح)، لسان العرب،٣٥٤/١٢، اِلتَاع: احترق من الهمّ والحزن، (ل و ع)، ٣٥٩/١٢، اُضْطُرّ: أُلْجِئَ، أُكْرِهَ، أُحْوِجَ، (ض ر ر)، ٤٦/٨

[4] الثورة الهندية، ص: ٤٤

[5] قَتَّرَ: ضيق علىهم في النفقة، (ق ت ر)،٣٠/١١، أَقْوَات: جمع قوت: ما يمسك الرَّمَقَ من الرزق، (ق و ت)،٣٣٩/١١

[6] المرزا الهي بخش كان وزير الملك بهادر شاه ظفر والملك كان يعتمد عليه للمصاهرة حيث بنته كانت صاحبة نجله الأكبر. وهو كان جاسوس الإنجليزيين، وهو الذي حرض الملك على الخروج من القلعة الحمراء إلى مقبرة همايون ومنعه من الذهاب مع الجنرال بخت خان. وأجرى الإنجليزيون بعد أن تسلطوا الملك ألف ومأتين روبية راتبا لمرزا الهي بخش لخدماته الثمينة.

حجم المعاناة، ويعطي الانطباع بأن الضيق شمل كل ما يحتاجه الناس من غذاء. فالتكرار هنا ليس في الكلمات نفسها، بل في المعنى، وهو ما يعزز الصورة البلاغية.

وفي هذه العبارة قد جمع المؤلف لفظين ملحقين بالمتجانسين بشبه اشتقاقٍ، كقوله: "**فنَكَصُوا ونَكَلُوا عن الاقْتِحامِ في هذا النَكَالِ الصَعبِ**".[1] [2] فإن بين "**نكلوا**" و "**النكال**" شبه الاشتقاق، من حيث الحروف الأصلية وهي النّون والكاف واللّام، وإن كانا من مصدرين مختلفين مدلولا: نَكَلُوا بمعنى رجعوا، والنكال بمعنى النازلة. والعبارة توحي عن تراجع الجيش وخوفهم أمام النازلة الشديدة، والكلمة "النكال" في نهاية الجملة ترد على "نكلوا"في بداية الجملة ما يوضح المقصود من التراجع والخوف.

وقوله: "**وَانْهَزَمُوا قبل المُكَافَحَةِ انهِزَاما**".[3] يشير إلى شدة الخوف والضعف في نفوس أهل الهند، الذين تراجعوا وخسروا قبل أن يبدؤوا القتال. أي من شدة خوفهم تراجعوا قبل بداية المواجهة. واستخدام الأسلوب البلاغي المتمثل في التكرار والتوكيد يفسر المعنى أكثر وضوحا وتأثيرا.

وقوله: "**وأَخْلَفوا كُلَّ وَعْدٍ كلّ إِخْلافٍ، وأَتْلَفُوا النفوس والنفائس أيّ إِتْلافٍ**".[4] تعني أنهم لم يلتزموا بأي من وعودهم على الإطلاق، ما يسبب التدمير والضرر إلى حد واسع، سواء كانت هذه الأضرار تؤثر على الأشخاص ومشاعرهم أو ممتلكاتهم وأشياءهم الثمينة. وتكرار المصدر في كلتا الجملتين يوضح مدى حدوثه وشدته. نلاحظ في ضوء الأمثلة السابقة أن

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٦٠

[2] نكصوا: رجعوا، (ن ك ص)، لسان العرب، ٢٨٥/١٤، نَكَلَ عن العدو: جَبُنَ، ونكَّلُوا عن الاقتحام: صرفوا عنه، (ن ك ل)، ٢٨٧/١٤، النَّكال: العقاب، (ن ك ل)، ٢٨٧/١٤

[3] الثورة الهندية، ص: ٧٠

[4] المصدر السابق، ص: ٧٤

المؤلف نجح في إرسال المعنى المطلوب بالتزام هذا الأسلوب البلاغي. واستخدم بمهارة مما يجعل كلامه أكثر وضوحا وجمالا.

قد برع المؤلف الخيرآبادي في توظيف هذا الأسلوب في سياقات متعددة، حيث استخدمه لتأكيد المعاني وإبراز التناقضات في مواضع متعددة، مما يقوي معنى النص ويسهم في إيصال المعنى بفعالية أكبر.

المبحث الرابع

الاقتباس

المبحث الرابع: الاقتباس

من فعل قَبَسَ: القبس: النار. والقَبَس: الشعلة من النار. وفي التهذيب: القبس شعلة من نار تقتبسها من معظم، واقْتِباسُها الأخْذ منها.[1]

وفي البديع العربي اتفق أغلب علماء البلاغة على أن الاقتباس هو تضمين الكلام بشيء من القرآن الكريم أو الحديث الشريف. ومن ذلك ما قيل بأنه: تزيين النثر أو الشعر بشيء من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير تنبيه على الأصل المأخوذ منه".[2]

وقيل فيه: "هو أن يُضَمِّنَ المتكلّم كلامه كلمة من بيت، أو من آية، أو معنى مجرَّدا من كلام، أو مثلا سائرا أو جملة مفيدة، أو فقرة من حكمة".[3]

وقيل أيضا: "أن يُضَمِّنَ المتكلّم كلامه من شعر أو نثر كلاما لغيره بلفظه أو بمعناه، وهذا الاقتباس يكون من القرآن المجيد، أو من أقوال الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو من الأمثال السائرة، أو من الحكم المشهورة أو من أقوال كبار البلغاء والشعراء المتداولة، دون أن يعزو المقتبِس القول إلى قائله".[4]

والاقتباس هو حسن بديع يقوي به المتكلم كلامه ويزينه، وغرضه يكون تدعيم الفكرة بالاستدلال وتقويتها. ويجوز للمقتبس أن يغير في الآية أو الحديث قليلا بشرط ألا يحرِّف في المعنى. ولا يكون في اقتباسه سوء أدب مع كلام الله أو كلام الرسول. إذ يكون في اقتباسه تحريف في المعنى، أو سوء الأدب فهو ممنوع ويأثم به المقتبس.[5]

---

[1] (ق ب س)، لسان العرب، ١١/١١

[2] أحمد قلاش، تيسير البلاغة، ط: ٢، مطبعة ثغر ـ جدة، ١٩٩٥م، ص: ١٤١

[3] ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص: ١٤٠

[4] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٥٣٦/٢

[5] ينظر: نفس المرجع، ص: ٥٣٦

ونلاحظ قد يلتجئ المؤلف إلى الاقتباس في قوله:"**فذاق كثير منهم شهد الشهادة، وسعدوا وصعدوا معارج السعادة، وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة**".[1] ويتكلم هنا عن فضل هؤلاء الذين شهدوا في سبيل الله في المعركة، وحصلوا مكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى. ويقتبس بعض الكلمات من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ** ﴾[2] فمعنى قوله تعالى: "للذين أحسنوا الحسنى" أي للذين أحسنوا بالإيمان والعمل الصالح لهم الحسنى أي الجنة، "وزيادة" وهي النظر إلى وجه الله تعالى.[3] والنظر إلى وجه الله هو أعلى مراتب الكمال الروحي، الذي لا يصل إليه إلا المحسنون العارفون في الآخرة.[4]

والمناسبة للآية تختلف من المعنى المراد عند المؤلف، لأن الله سبحانه وتعالى يخاطب كل من يحسن في الإيمان ويعمل أعمالًا صالحة فله الحسنى وزيادة. أما المؤلف يستمد المعنى من الآية الكريمة ويبين معارج السعادة التي من حظ الشهداء وفضلهما. ما يزين النص ويضيف قوة تأثيره على نفس المتلقي.

ويتحدث المؤلف عن نفسه، في قوله:"**ثم خرجت مع أهلي وعيالي... وأخذت للنجاء سبيلا، متوكلا على الله وكفى بالله وكيلا**".[5] ويقتبس أثناء تحدث عن نفسه الآية الكريمة من القرآن الحكيم، في قوله تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا** ﴾[6] المخاطب في الآية النبي الكريم – صلى الله عليه وآله وسلم–، وقد يخاطبه الله سبحانه تعالى قبل الآيتين السابقتين، أي لا تطع أهل الكفر والنفاق فيما يدعونك إليه من اللين والتساهل، وعدم التعرض لآلهتهم

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٤٠

[2] يونس: ٢٦

[3] محمد على صابوني، صفوة التفاسير، ج: ١، ط: ٤، دار القرآن الكريم ـ بيروت، ١٩٨١م، ص: ٥٨١

[4] محمد الأمين الهرري، حدائق الروح والريحان، ج: ١٢، ط: ١، دار طوق النجاة، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠١م، ص: ٢١٣

[5] الثورة الهندية، ص: ٤٦

[6] الأحزاب: ٣

بسوء ... واعمل بما يوحيه إليك ربك من الشرع القويم، والدين الحكيم، واستمسك بالقرآن المنزل عليك ... ثم يقول: "وتوكل على الله" أي اعتمد عليه، والجأ في جميع أمورك إليه، "و كفى بالله وكيلا" أي وحسبك أن يكون الله حافظا وناصرا لك ولأصحابك. أما في النص فالمؤلف اقتبس معنى الآية ويخبر عن حاله، وقد استخدم اسم فاعل بدلا من الفعل لبيان حاله كونه متوكلا على الله، أي هو متصف بهذه الصفة.

وفي موضع آخر يشبه المؤلف أحوال الملكة "حضرت محل" – ملكة إمارة لكناو من إمارات الهند – ومن معها من الجنود والناس الملتجئين إليها بأحوال هؤلاء الأصحاب الثلاثة من تخلفوا عن غزوة تبوك. حيث يقول: **"كانت الجيوش المنحرفة وغيرهم ممن رافقوا ووافقوا الوالية واجتمعوا لديها لعوز المعايش، إذ قدرت أرزاقهم وقترت أقواتهم ... فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم في ضنك شديد".**[1] يقتبس هنا بعض الكلمات من كلام الله تعالى: ﴿ **ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ** ﴾[2] ولكن نرى أن السياق القرآني والكلام في الآية يختلف عن النص الأدبي من حيث الموضوع والمقصود من المخاطب. لأن المخاطب في الآية، الأصحاب الثلاثة الذين ما اتبعوا حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخروا في قبول توبتهم. فشعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على رحبها ووسعتها بالخلق جميعا، خوفا من المعاقبة وجزعا من إعراض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين عنهم، وهجرهم إياهم في المجالسة والمحادثة. ولا يجدون مكانا ترتاح إليه نفوسهم وتطمئن به وكان هذا الضيق والقلق بسبب سخط الله تعالى وإعراض الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – والمؤمنين عنهم.[3] أما في النص فالمؤلف يصف أحوال الملكة ومن معها،كانوا يعيشون في

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٧٠ – ٧٢

[2] التوبة: ١١٨

[3] ينظر: محمد الأمين الهرري، حدائق الروح والريحان، ٧٣/١٢

رفاهة وسرور ولكن بعد تسلط النصارى اضطروا ترك حياتهم المنعمة، وديارهم وأموالهم وأهلهم وعيالهم. ولم يكن عندهم ملجأ ولا متطلبات الحياة. كانوا يعيشون بأسوأ حالهم. وكان قلوبهم متضايقة ومضطربة بسبب ضيق أرض وطنهم عليهم وبسبب خيانة مواطنيهم لمساعدة الإنجليز الغاصب الظالم المكار. فنرى معنى الآية مختلفة تماما، ما يشبه فقط هو أحوالهم النفسية. فاستمد المؤلف هذا التعبير من المعنى الآية الكريمة حتى يؤثر النص على نفس المتلقي. ويضيف كلام مقتبس جمالية النص وينسجم مع المعنى الذي أراد المؤلف إيصاله.

وفي قوله:"**كعامل الملك الذي يتولاهم، بل سلطهم ... إذ حُرم ما تمنّى، وبقي حسران في الخسران ... خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**".[1] هنا يذم المؤلف طبيب الملك "أحسن الله خان" هو الذي كان خائنا ومواليا للنصاري، وقد لجأ إلى الاقتباس من الآية القرآنية لبيان حاله المهِين، في قوله تعالى: ﴿ **خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ** ﴾[2] في الآية الله سبحانه وتعالى يذكر عاقبة قوم مضطربي الإيمان، من الناس من ليس له ثبات في أمر دينه، بل هو مرجح مضطرب مذبذب، يعبد الله على وجه التجربة، وانتظار للنعمة. فإن أصابه خير بقي مؤمنا، وإن أصابه شر، مِن سقم أو ضياع مال، أو فقد ولد ... ترك دينه وارتدّ كافرا. فيبين الله تعالى حاله بعد انقلابه على وجهه، وسوء عاقبة عمله، أيّ لا حظَّ له في الدنيا من الغنيمة والثناء الحسن، ولا في الآخرة من الأجر.[3]

فحال عامل الملك مثل هؤلاء القوم، هو الذي ارتد عن دينه في المصيبة وساعد النصارى ضد المسلمين لكسب رضائهم، فعاش ذليلا بين الناس، ونال سخط الله فبقي خاسرًا و ذليلًا في الدنيا والآخرة.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٥٠

[2] الحج: ١١

[3] ينظر: محمد الأمين الهرري، حدائق الروح والريحان، ٢٥٨/١٨

وكذلك نرى الاقتباس في قوله: **"إذ كان كل يوم من هذا الزمن الكريه، يوم يفرّ المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه"**[1] حين يشبه المؤلف صورة الدمار والهلاك التي أصابت الهند بعد استيلاء النصارى على البلد بالقيامة. واقتبس الآية القرآنية من قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ** ﴾[2] هذه الآية يبين أحوال اليوم الرهيب، المراد منه القيامة، حين يهرب الإنسان من أحبابه، ومن أخيه، وأمه، وأبيه، وزوجته، وأولاده. فإنه لا يفكر في سوى نفسه.[3] فشبه المؤلف هذه الكارثة المؤلمة بالقيامة. والصورة التي قدمته تقوي معنى النص، ويظهره بليغًا.

في الأمثلة المذكورة نلاحظ أن المؤلف يستدل في مواقع متعددة بالآيات القرآنية ما يدل على حسن استدلاله وبراعته ودقة تعبيره ما يقدم تأثيرًا قويًا في نفوس الناس.

ونرى في قوله: **"أسْودِ الكَبدِ أَزرق عَبّاس، أصْهَب الشَعر"**[4] كأن المؤلف اقتبس فكرة وصف العدو من أمثال العرب. كما نرى في كتاب "المستقصى في أمثال العرب" للزمخشري، حيث يقول: "أَزْرَقُ العَين، أَصْهَبُ السِّبال، أَسْوَدُ الكَبِد".[5] يدل على سعة إطلاع المؤلف بأساليب العرب.

قد اقتبس المؤلف في مواضع متعددة أحيانًا من القرآن وأحيانًا من الكلام العرب اقتباسًا مناسبًا للسياق تمامًا، وكأنه جزء طبيعي من الكلام. أي هو اندماج النص المقتبس مع الجملة بأسلوب محكم ومؤثر ما يدعم المعنى المطلوب ويترك تأثيرا بالغا على المتلقي.

---

[1] الثورة الهندية، ص: ٥٢

[2] عبس: ٣٤ – ٣٦

[3] محمد على صابوني، صفوة التفاسير، ٥٢١/٣

[4] الثورة الهندية، ص: ٢٨

[5] الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ٣٩٥/٢

المبحث الخامس
التَّلْمِيح

المبحث الخامس: التَّلْمِيح

في الاصطلاح: "وهو أن يشير الناثر أو الشاعر إلى قصة أو شعر أو نثر دون ذكر ما أشار إليه".[1]

فالتلميح يكون بالإشارة إلى مثل، أو بيت شعر، أو قصة تاريخية مشهورة، أو قضية معروفة دون التنبيه إليها، أو بالإشارة المباشرة. والتلميح يكون عن طريق الإيجاز، أو الكناية، أو التورية، أو التوجيه، أو الاستعارة، وغيرها من الألوان البلاغية. وقد اشتقَّ البلاغيون التلميح نوعًا من الاقتباس.

قد يذكر المؤلف التلميح المباشر في قوله: "**هو المجي للمرجى الأسير، وهو المسير لكل عسير. هو الذي نجّى نوحا من الغرق، وإبراهيم من الحرق، وأيّوب ممّا مسّه وأصاب من الضرّ والأوصاب، ويونس من بطن النّون، وبني إسرائيل ممّا كانوا يعانون، وكفى موسى وهارون فرعون وهامان وقارون، وكفى المسيح ما مكر الماكرون، وكفى حبيبه المصطفي ما كان يمكر به الكافرون. فإن رمقني صعوب ولحقني خطوب ومحقني كروب، وحاقت بي ذنوب، فلست بفضله بمبتئس، ولا من رحمة بمتأس. فربيّ هو الشافي والكافي، والمعافي والعافي. فكم ضرير يكون على شفا، إذا دعاه شفي**".[2]

حيث يلمح إلى نجاة الأنبياء من المصائب والابتلاءات برحمة الله تعالى. فالمؤلف يستوحي من حياتهم معنى الحياة والرجاء والأمل. ونلاحظ إن من ابتلاه الله تعالى كثيرًا وأشدّ ابتلاء هم الأنبياء والرسل؛ لأن حياتهم تعتبر من النماذج البشرية السامية، والقدوة للناس بالاستقامة على الإيمان والصبر. كما نرى حياة نوح ـ عليه السلام ـ فهو الذي نجاه الله تعالى ومن معه من

---

[1] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٥٤٢/٢

[2] الثورة الهندية، ص: ٨٢

المؤمنين في السفينة، وعاقب المنكرين وأغرقهم وجعلهم عبرة لمن بعدهم. وقد ابتلى أيّوب ـ عليه السلام ـ في ماله وولده وبدنه، فهو الذي فقد ماله كله، ومات جميع أولاده، وأصاب بالجدري. ثم دفع الله تعالى عنه المرض ونجاه من المصائب، وأعطاه مزيدا من النعم عوضا عمّا فقد من الأهل والمال والأولاد. وقد ألقى النمرود إبراهيم ـ عليه السلام ـ في النار، ولكن نجاه الله تعالى برحمته من الحرق. وكذلك نجى عيسى ـ عليه السلام ـ من معارضيه الذين أرادوا قتله، ودفع عن بني إسرائيل المصائب التي كانوا يعانون بسببها. وكان الله كفيلا لموسى وهارون ـ عليهما السلام ـ والنبي آخر الزمان محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –. وكان الله كفيلا لكل من أصيب بالابتلاءات، فدفع الله تعالى هذه البلايا ونجاهم من المصائب.

والغرض من إلماح المؤلف إلى قصص الأنبياء هو تشبيه حاله بحال الأنبياء، وبيان نجاتهم من هذه المعاناة برحمة الله تعالى واستلهام التوكل على الله تعالى. أي كما نجى الله تعالى الأنبياء من المصائب هكذا هو يلتجئ إلى رحمته تعالى للإنجاء من المعاناة والشدائد التي ابتلي بها.

ونلاحظ أن المؤلف كثير الاستشهاد بالقرآن الكريم وألفاظه وصوره ومعانيه. ويستلهم معظمها من القصص الواردة في القرآن الكريم.

الخاتمة

ملخص البحث

كتب العلامة فضل الحق الخيرآبادي كتابه "الثورة الهندية" أثناء نفيه إلى جزيرة أندامان، وذلك بعد مشاركته الفاعلة في الثورة سنة ١٨٥٧م ضد الاستعمار البريطاني، حيث اعتقله الإنجليز وحكموا عليه بالنفي المؤبد ومصادرة ممتلكاته.

كان هدف من كتابة هذا الكتاب هو توثيق أحداث الثورة، وفضح جرائم الاستعمار البريطاني، وبيان الأسباب الحقيقية التي دفعت أهل شبه القارة من المسلمين والآخرين إلى حمل السلاح ضد الاستعمار، ومن أكبرها وأهمها الدفاع الديني والقومي، وليس كما زعمت الدعاية البريطانية أن الثورة الهندية ١٨٥٧م مجرد "تمرد عشوائي" و"فتنة هجمية".

هذا الكتاب رغم إيجازه يتصف بالشمولية، حيث يتحدث الخيرآبادي فيه عن أهداف الاستعمار البريطاني ومكايده، وأسباب الثورة الهندية الكبرى، وأحداثها، ونتائجها، ودور الحكام المغوليين والقادة والمجاهدين، وخيانة بعض الوزراء والأمراء ومساهمة الجواسيس في فشل الثورة، كما تكلم عن معاناته الذاتية خلال الثورة وبعدها.

أهم ما يتسم به هذا الكتاب هو وصف قصة "الثورة الهندية" بأسلوب بديعي رصين.

يتناول المؤلف في كتابه المحسنات البلاغية البديعية المتعددة، نحو: الطباق، والمقابلة، ومراعاة النظير، والتدبيج، والإبداع، ورد العجز على الصدر، والجناس، والسجع، والاقتباس، والتلميح. ويقدم أمثلة متعددة لكل محسن من المحسنات البديعية.

قسمت هذا البحث إلى فصلين، وفي كل فصلٍ خمسة مباحث.

١. الفصل الأول: المحسنات المعنوية في كتاب "الثورة الهندية" (المباحث: الطباق، المقابلة، مراعاة النظير، التدبيج، الإبداع)

٢. الفصل الثاني: المحسنات اللفظية في كتاب "الثورة الهندية" (المباحث: السجع، الجناس، رد العجز على الصدر، الاقتباس، التلميح)

استخرجت في هذا البحث الشواهد من المحسنات البديعية المتناولة في الثورة الهندية، وقدمت لكل شاهد الغرض البلاغي مع شرح المعنى اللغوي والتاريخي.

ملخص المحسنات المعنوية:

١- لاحظت في الأمثلة المذكورة عن الطباق من المحسنات المعنوية، براعة المؤلف في توظيف الطباق بجميع أنواعه من طباق الإيجاب، طباق السلب، طباق التدبيج، وإيهام التضاد؛ ليبرز الصراعات السياسية والاجتماعية في عصره.

٢- تعتمد المقابلة على الجمع بين معنيين أو أكثر ثم مقابلتها بأضدادها، وهي أكثر تعقيدا من الطباق لأنها تتضمن أكثر من عنصر متضاد في نفس السياق. وقد يستخدم فضل الحق الخيرآبادي أسلوب المقابلة ببراعة فائقة حيث يجمع ثمانية أضداد لإبراز التناقضات بين الخيانة والأمانة، وبين القوة والضعف، وبين الراحة والعذاب ما يثير مشاعر الغضب تجاه الاستعمار البريطاني والخونة الوطنيين، ويحفزّ المقاومة.

٣- يقدّم المؤلف في "الثورة الهندية" عدة مظاهر مراعاة النظير لتقوية المعاني وانسجامها وتناسقها وجمالها. نرى فيها التدرج في المعنى يعكس تصاعد النزاع وتحوله من مجرد عداوة إلى مواجهة دامية، مما يجعل العبارة أكثر تعبيرًا عن طبيعة العداء المتصاعد.

٤- وقد يستوظف المؤلف فن التدبيج ليبرز سواد باطن العدو من بياض ظاهره.

٥- وقد أجد في "الثورة الهندية" أن المؤلف يبدع ويستوظف عدة أغراض بلاغية معا: نحو التشبية والمبالغة والاستعارة والكناية والجناس التام والسجع ومراعاة النظير والترادف.

ملخص المحسنات اللفظية:

١- والسجع ليس له صورة واحدة، وإنما هو يأتي في النثر باعتبار الوزن والتقفية بين طرفيه إلى ثلاثة أقسام: المطَرَّف، والترصِيْع، والمتوازي، قد وجدته عند المؤلف بجميع أنواعه.

٢- لاحظت أن المؤلف فضل الحق الخيرآبادي قد أبدع في استخدام الجناس، وتميز أسلوبه بكثرة توظيفه بجميع أنواعه: فمن الجناس التام؛ المماثل والمستوفي، ومن الجناس غير التام؛ المضارع واللاحق والمحرف والمصحّف والقلب، ومن تقسيماته الفرعية مثل الناقص والاشتقاق، حتى امتاز عن غيره من الأدباء بشكل غير مسبوق. وقد استخدم في كثير من الواضع أنواعًا متعددة ضمن جملة واحدة. هذا الاستكثار من استخدام الجناس مع المحافظة على فصاحة المعنى ووضوح الفكرة، أمرٌ قلّ أن اجتمع في أسلوب أديب آخر. لذلك، يمكن القول إن الخيرآبادي قد بلغ بالجناس مرتبةً فنيةً عاليةً لم يدركها غيره بهذه الكثافة والإتقان، مما يجعله أحد أبرز البلغاء الذين جمعوا بين غزارة الزخرفة وعمق البيان.

٣- قد برع المؤلف الخيرآبادي في توظيف أسلوب ردّ العجُز على الصدر في سياقات متعددة، حيث استخدمه لتأكيد المعاني وإبراز التناقضات في مواضع متعددة، مما يقوي معنى النص ويسهم في إيصال

٤- قد اقتبس المؤلف في مواضع متعددة أحيانًا من القرآن وأحيانًا من كلام العرب اقتباسًا مناسبًا للسياق تمامًا، وكأنه جزء طبيعي من الكلام، ما يدعم المعنى المطلوب ويترك تأثيرا بالغا على المتلقي.

٥- هكذا لاحظت أن المؤلف استفاد من محسن التلميح، واستلهم معظمها من القصص الواردة في القرآن الكريم.

نتائج البحث

- امتاز العلامة فضل الحق الخيرآبادي في كتابه "الثورة الهندية" بأسلوب بديعي رصين، حيث اعتنى عناية فائقة باستخدام المحسنات اللفظية والمعنوية لإضفاء الجمال والقوة على نصّه. فجاءت عباراته مُزدانَة بالتجنيس، والسجع، والاقتباس، والطباق، والمقابلة، مما أكسب أسلوبه نوعًا من الفخامة والرصانة والجزالة. وجمع بين البلاغة البيانية والعمق الفكري ما يعكس سعة علمه ومكانته الأدبية.
- أظهر العلامة فضل الحق الخيرآبادي في كتابه براعة أدبية متميزة من خلال توظيفه المكثّف للمحسنات البديعية، مما يعكس عمق ثقافته البلاغية وتفاعله مع التراث الأدبي العربي. فقد استخدم المحسنات اللفظية والمعنوية بشكل متقن، مما أضفى على نصوصه طابعًا فنيًا راقيًا.
- لجأ الخيرآبادي إلى التكرار والتلميحات القرآنية والتاريخية، مما يعزز من تأثير النصوص ويُبرز رسالتها السياسية والدينية. هذا الأسلوب البلاغي لم يكن مجرد تزيين لغوي، بل كان وسيلة فعالة للتعبير عن المقاومة والهوية الإسلامية في وجه الاستعمار البريطاني، مما يجعل "الثورة الهندية" نموذجًا فريدًا في الأدب العربي في شبه القارة الهندية.
- تجلى في أسلوب المؤلف طابع بلاغي بديعي غني بالمحسنات، إلا أن هذه البلاغة لم تكن نتاج صنعة متكلفة أو تزويق مفتعل، بل كانت تعبيرًا صادقًا عن موهبته الفطرية وبراعته اللغوية. حيث كتب هذا الكتاب في ظروف قاسية وهو في المنفى، محرومًا من الكتب والمراجع وحتى من الأوراق الكافية ومصابا بأمراض جلدية ومِعوية ووبائية، مما يُعزّز من قيمة النص ويدل على أن ما تميز به من جمال الأسلوب إنما هو ثمرة عبقريته لا الصنعة والتكلف.

- وقد جمع المؤلف في جملة واحدة أغرضًا متعددة. كذلك جمع في جملة واحدة محسنتين أو محسنات متعددة. وله قدرة فائقة بجمع أغراض بديعية متعددة ضمن جملة واحدة، مما يظهر عمق فكره وحسن سبكه للنص.
- الدراسة تظهر أن غلب على أسلوبه اهتمام بعلم البديع، دون إكثار من توظيف علمَي المعاني والبيان.
- العلامة فضل الحق الخيرآبادي لم يكن الأول من كثر في استخدام البديع، هناك من سبق في الإكثار من البديع وتنويعه مثل أبي تمام، وابن رومي وغيرهما من المتأثرين بمدرسة الصنعة. وكان أدباء الهند المتأخرون غالبًا متأثرين بهذه المدرسة ومن المدرسة اللكنوية والدهلوية للآداب المحلية، ولكن الخيرآبادي تفوّق على أقرانه في شبه القارة الهندية من حيث التنوع والوظيفة.
- أظهرت الدراسة أن فضل الحق الخير آبادي ما استكثر في توظيف المحسنات البديعية -يفيض بها هذا الكتاب- لمجرد التزيين اللفظي أو تقليد لتيار أدبي، ولا تفاخرًا بقدراته البيانية فحسب، بل كان سخّرها أداةً تعبيرية تخدم المقصد البلاغي والفكري. وقد يتبيّن هذا من خلال المقارنة بين مؤلفاته أن كثافة استخدامه لفنون البديع تبرز بوضوح في كتابه "الثورة الهندية".
- الدراسة تثبت أن هذا الإكثار اختارها الخيرآبادي كصوت أدبي مقاوم ضد الاستعمار البريطاني للحفاظ على حقائق الثورة الهندية ١٨٥٧م، وتخليدها في كسوة أدبية بديعية. أي بديعيته لم تكن عشوائية، بل تخدم فكرته وقضيته، وتضعه في مصافّ كبار الأدباء والبلغاء الذين أتقنوا البلاغة تطبيقيًا لا تنظيريًا فقط.

التوصيات

وختامًا تقتضي هذه الدراسة البلاغية أن أبرز بعض التوصيات التي أفرزها هذا البحث، وهي:

- الاهتمام بتحقيق تراثه المخطوط، وإصدار مؤلفاته التي لا تزال غير مطبوعة.
- إجراء دراسات مقارنة بين أسلوب فضل الحق الخيرآبادي وغيره من أصحاب البديع من شبه القارة والعالم العربي، لمعرفة موقفه البلاغي ومدى تفرده في توظيف المحسنات البديعية.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيات الواردة في البحث	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ	التوبة	١١٨	٢٦، ١٠٢
لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَة	يونس	٢٦	١٠١
خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ	الحج	١١	٣٠، ١٠٣
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلا	الأحزاب	٣	١٠١
يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ	عبس	٣٤-٣٦	١٠٤

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

(ألف)

إبراهيم عليه السلام.....١٠٦، ١٠٧

ابن أبي الإصبع.....٤، ٢٤، ٣٩، ٥٤

ابن رشيق القيرواني..... ٣

أبو الفيض بن المبارك..... ١٢

أبو هلال العسكري.....٣، ٣٨

أحسن الله خان.....٣٠، ١٠٣

الأمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي..... ١٠

أيوب عليه السلام..... ١٠٦

(باء)

بهادر شاه ظفر.....١٥، ٢٩، ٧٧

(تاء)

التفتازاني..... ٦

(حاء)

حسين بن خالد الناكوري..... ٦

حضرت محل..... ١٦، ٢٦، ٣٣، ٥٦، ٧٧، ٨١، ١٠٢

(خاء)

الخطيب القزويني.....١ ، ٢٤، ٣٣، ٣٧، ٤٤، ٦٠

خليل بن أحمد الفراهيدي..... ٢٤

خير الدين محمد الإله آبادي.....٨

(زاي)

الزمخشري..... ١٠٤

(سين)

سعد الله المرادآبادي..... ٨

السكاكي.....٣، ٦، ٦٠

سكندر علي الخالصبوري..... ٩

سيد محمد حكم البريلوي..... ٧

(شين)

شمس الدين الحيدرآبادي..... ٨

شمس الدين العباسي الدهلوي..... ٨

(صاد)

صديق حسن القنوجي..... ٩

صفي الدين الحلي..... ٤

(ظاء)

ظهور أحمد أظهر..... ١٠

(عين)

عباس التستري..... ١٢
عبد الحق الخيرآبادي..... ٢٠
عبد الحكيم السيالكوتي..... ٧
عبد الحميد الفراهي..... ١١
عبد الرحمن حسن..... ٧٢
عبد العزيز أحمد البرهاروي..... ١٠
عبد العزيز الدهلوي..... ٨، ١٤
عبد الغني الفرخ آبادي..... ٩
عبد القادر ابن محمد أكرم الرامبوري..... ٨
عبد القادر المحدث الدهلوي..... ١٤
عبد الله بن المعتز العباسي..... ٢، ٣، ٧٢، ٩٥
عز الدين الموصلي..... ٤
عمر الفاروق رضي الله عنه..... ١٣
عنايت أحمد الكاكوري..... ٢٠

عيسى عليه السلام..... ١٠٧

(غين)

غالب (مرزا أسد الله خان)..... ١٤

غلام علي آزاد البلكرامي..... ٨، ٩، ١٠

(فاء)

فضل إمام الخيرآبادي..... ١٣

فضل الحق الخيرآبادي.....١٢، ١٣، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٤٢، ٩٣، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤

(قاف)

قدامة بن جعفر..... ٣، ٢٤، ٣٨

(ميم)

محمد صلى الله عليه وسلم ..... ١٢، ١٣، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٦ ، ٢٧، ٧٤، ١٠٠

محمد بن قاسم الثقفي..... ٥

محمود بن محمد الجونبوري..... ٧

مرزا إلهي بخش ٩٧

معين الدين العمراني..... ٦

منور بن عبد المجيد اللاهوري..... ٧

موسى عليه السلام..... ١٠٦، ١٠٧

(نون)

النمرود..... ١٠٧

نوح عليه السلام..... ١٠٦

نور الدين بن محمد صالح الكجراتي..... ٧

(واو)

واجد علي شاه..... ٢٦

وجيه الدين العلوي الكجراتي..... ٦، ٧

(هاء)

هارون عليه السلام..... ١٠٦، ١٠٧

فهرس الأماكن

فهرس الأماكن

ألور..... ١٥، ١٧

أندامان..... ١٨، ٢٠، ٢١، ٣٦، ٥٦، ٦٦، ٨٣، ١١١

أوده..... ١٧، ١٨

جهجر..... ١٥

خير آباد..... ١٣

دلهي..... ١٣، ١٦، ١٧

رامبور..... ١٥

السند..... ٥

سهارنبور..... ١٥

لكناو..... ١٥، ٢٧، ٢٨، ٣٤، ١٠٤

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المصدر:

١. قمر النساء، فضل الحق الخيرآبادي مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، بحث الدكتوراه، جامعة حيدرآباد، الهند. ١٩٧٩م، مطبع:كنج شكر برنترز، لاهور. باكستان، ١٩٨٦م.

المراجع:

١. ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: د.حفني محمد شرف، الكتاب الثاني، إحياء التراث العربي ـ الجمهورية العربية المتحدة، د.ت.

٢. ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: كوكب دياب، ج:١، ط:٢، دار صادر ـ بيروت، ٢٠٠٥م.

٣. ابن رشيق القيرواني، العُمدة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط:٥، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ١٩٨١م.

٤. ابن المعتز، البديع، تحقيق: عرفان مطرجي، ط:١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢م.

٥. ابن منظور، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط:٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٩م.

٦. أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، د.ت.

٧. أحمد إدريس، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، ط:١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨م.
٨. أحمد حسن المراغي، علم البديع، ط:١، دار العلوم العربية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩١م.
٩. أحمد قلاش، تيسير البلاغة، ط:٢، مطبعة ثغر ـ جدة، ١٩٩٥م.
١٠. أحمد الهاشمي، السيد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، د.ت.
١١. حسن حنبكة الميداني، عبد الرحمن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج:٢، ط:١، دار القلم ـ دمشق، والدار الشامية ـ بيروت، ١٩٩٦م.
١٢. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط:١٥، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٢م.
١٣. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمرو بن أحمد، المستقصى في أمثال العرب، ج:٢، ط:٢، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٧م.
١٤. السكاكي، إمام سراج الدين، مفتاح العلوم، ط:٢، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٧م.
١٥. سلمة فردوس سهول، ديوان فضل الحق الخيرآبادي، ط:٢، دار الإسلام، لاهور باكستان، ٢٠١٦م.
١٦. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج:٧، ط:١، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٩م.
١٧. عبد الحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.
١٨. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية؛ علم المعاني ـ البيان ـ البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

١٩. عزيزة فوال بابتي، موسوعة الأعلام؛ العرب والمسلمين والعالميين، ج:٣، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٧١م.
٢٠. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، كتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد الجباوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢، دار الفكر العربي، د.ت.
٢١. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج:٤، ط:١، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٣م.
٢٢. عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع، د.ط، دار النشر: جامعة حلب، ٢٠٠٠م.
٢٣. غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي، سبحة المرجان في آثار هندوستان، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، ط:١، مكتبة مؤمن قريش، ٢٠١٥م.
٢٤. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ط:١، مطبع الجوائب، قسطنطنية، ١٣٠٢م.
٢٥. القزويني، جلال الدين الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعانى والبيان والبديع، ط:١، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٠٤م.
٢٦. القزويني، جلال الدين الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، شرح: عبد الرحمن برقوقي، ط:١، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٠٤م.
٢٧. القنوجي، محمد صديق حسن خان، غصن البان المورق بمحسنات البيان، د.ط، مطبعة الجوائب الكائنة، القسطنطنية، ١٨٧٩م.
٢٨. محمد أحمد قاسم، ومحي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ط:١، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ـ لبنان، ٢٠٠٣م.

٢٩. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج:١٢، ط:١، دار طوق النجاة، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠١م .

٣٠. محمد بن حسن بن عقيل موسى، المختار المصون من أعلام القرون، ج:١، ط:١، دار الأندلس الخضراء، المملكة السعودية العربية، ١٩٩٥م.

٣١.محمد علي صابوني، صفوة التفاسير، ج:١، ط:٤، دار القرآن الكريم ـ بيروت، ١٩٨١م.

٣٢. مصطفى السيد جبر، دراسات في علم البديع، ط:٤، دريم للطباعة، مصر، ٢٠٠٧م.

الكتب الأردية

٣٣.رئيس أحمد جعفري، بهادر شاه ظفر وعهده، ط:١، كتاب منزل، لاهور ـ باكستان، د.ت.

٣٤.سلمة فردوس سهول، العلامة فضل الحق الخيرآبادي، ط:٢، دار الإسلام، لاهور ـ باكستان، ٢٠٢١م.

٣٥.فضل الحق الخيرآبادي، باغي هندوستان (الهند الثائرة)، مترجم: محمد عبد الشاهد خان الشرواني، ط:٤، المجمع الإسلامي مباركبور، الهند، ١٩٨٥م.

٣٦.محمد أكرم شغتائي، ١٨٥٧م: اليوميات والمذكرات، د.ط، دار سنك ميل للنشر، باكستان ـ لاهور، ٢٠٠٧م.

الدراسات الجامعية

٣٧. أحمد أكبر الله، الطباق والجناس في سورتي يونس والمؤمن، المشرف: حسن بصر سالم، الجامعة هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا ـ إندونيسيا، ٢٠١٠م.

٣٨. بلقندوز سلطانة، أثر السجع والجناس في خلق التماسك النصي، المشرفة: فريحي مليكة، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠١٥ ـ ٢٠١٦م.

٣٩. رتني سبتري، تحليل الطباق في كتاب سمط الدرر، إشراف: نورجنة، وهازوار، الجامعة الإسلامية الحكومية جوروب، إندونيسيا، ٢٠٢١م.

٤٠. عباس بدر الدين، مراعاة النظير في القرآن الكريم، المشرف: علي زواري أحمد، جامعة الشهيد، حمه لخضر- الوادي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠٢٢ ـ ٢٠٢٣م.

٤١. فطري فوزية، الجناس في سورة الإسراء، المشرفة: د.تشهيا بوانا، الجامعة هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا ـ إندونيسيا، ٢٠١٨م.

المقالات الإلكترونية

٤٢. أورنك زيب أعظمي، "الإمام عبد الحميد الفراهي وكتابه جمهرة البلاغة"، مجلة الديبل، مؤسسة بوابة البحث والتحقيق، ع:٢/ج:١، ديسمبر٢٠١٦م.

٤٣. حافظ حارث سليم، شواهد المحسنات البديعية في آيات القيامة، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور ـ باكستان، ع: ٢٦، ٢٠١٩م.

٤٤. عبد العلى، "ظهور أحمد أظهر وآثاره الشعرية في الأدب العربي"، مجلة البحث العربي، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد ـ باكستان، ع:٣، دسمبر ٢٠٢٠م.

٤٥.عثمان محمود مهني محمد، فن رد العجز على الصدر في قصائد خواجو الكرماني، مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد، مصر، ع: ٢٣، يناير ٢٠٢٣م.
٤٦.علي عبد الكريم مبروك إبراهيم، المحسن البديعي وأثره في إقامة المعنى وبلاغة التراكيب الأدعية النبوية نموذجا، مجلة الزهراء، جامعة الأزهر، القاهرة ـ مصر، ع: ٣٠، ج:٢، أكتوبر ٢٠٢٠م.
٤٧.نصيب دار محمد، محمود أحمد المفتي، الجناس في تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور ـ باكستان، ع: ٢٣، ٢٠١٦م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المقدمة..... أ

التمهيد..... ١

علم البديع نشأة وتاريخ ١

نبذة عن اهتمام علماء شبه القارة بعلم البديع ٥

العلامة فضل الحق الخيرآبادي..... ١٣

تعريف بالكتاب "الثورة الهندية"..... ٢١

الفصل الأول

المحسنات المعنوية في كتاب الثورة الهندية

المبحث الأول..... **٢٤**

الطباق..... ٢٥

المبحث الثاني..... **٣٨**

المقابلة..... ٣٩

المبحث الثالث..... **٤٤**

مراعاة النظير..... ٤٥

المبحث الرابع..... **٥٠**

التدبيج..... ٥١

المبحث الخامس..... ٥٤

الإبداع.....٥٥

الفصل الثاني

المحسنات اللفظية في كتاب الثورة الهندية

المبحث الأول..... ٦٠

السجع..... ٦١

المبحث الثاني..... ٧٢

الجناس..... ٧٣

المبحث الثالث..... ٩٥

رد العجز على الصدر..... ٩٦

المبحث الرابع..... ١٠١

الاقتباس.....١٠٢

المبحث الخامس..... ١٠٧

التلميح..... ١٠٨

الخاتمة

ملخص البحث..... ١١١

نتائج البحث..... ١١٤

التوصيات..... ١١٦

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية..... ١١٨

فهرس الأعلام..... ١١٩

فهرس الأماكن..... ١٢٥

فهرس المصادر والمراجع..... ١٢٧

فهرس المحتويات..... ١٣٤